الاستخلاف في ملكية وسائل الإنتاج

اعداد
دكتور/ أيمن إسماعيل محمد خالد
المدرس بقسم الاقتصاد
كلية التجارة " بنين " جامعة الأزهر

مقدمة:

تتعدد أشكال الاستخلاف، إلا أنه في مجملها وعلاقتها أعطت للأفراد حق تملك المال ملكية خاصة، كما أعطت لهم حق استثمار هذا المال في الأنشطة الاقتصادية التي يختارونها، إلا أنه أخضع ذلك الإختيار لمجموعة من الضوابط (التزامات) التي ينظم بها سلوك من بيده المال في المجتمع. وهذه الضوابط يجب أن يعمل مالك المال: أي متخذ قرار الاستثمار، واستخدام المال، على تحقيقها وأن الإخلال بها يعد إخلالاً بالاستخلاف في استخدام المال واستثماره.

إن هذه الضوابط بطبيعتها، لا تفسر أو تقوم بدراسة الظواهر اقتصادياً، ومن ثم فهي تعد مؤشرا للحركة الاقتصادية التي بدونها سوف تخفق العملية الاقتصادية، كما أن المال في نظر الاستخلاف، له وظيفة اجتماعية، والتصرف به كسباً وإنفاقاً، مرهون بتحقيق تلك الوظيفة للفرد والمجتمع على حدّ سواء وأي تصرف اقتصادي أو الامتناع عن تصرف يلحق الضرر بالمجتمع فهو محظور.

من المعلوم أن وسائل الإنتاج [1] هي كل الموارد الطبيعية كسطح الأرض والغابات والمياه وباطن الأرض والمجال الجوي، والمواد الأولية، وأدوات الإنتاج التي تساعد على تحويل هذه الموارد الطبيعية والمواد الاولية الي منافع، ثم المنشآت الضرورية للإنتاج كأبنية المصانع ومنشآت المناجم، ووسائل النقل والاتصال. يضاف إلى ذلك وسائل التبادل بين أعضاء المجتمع، كالمنشآت الضرورية للتوزيع وللتجارة (المستودعات. مخازن البيع) ومؤسسات التمويل كالمصارف، بالإضافة الي قوة العمل البشري (الذهني والعضلي) [2].

من ثم فإن وسائل الإنتاج داخلة في المال وهو كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد. أو هو اسم لما يباح الانتفاع به حقيقة وشرعًا [3]. وبالتالي ما ينطبق على المال والأرض ينطبق على وسائل الإنتاج. كما أن إعمار الارض يعدّ من المهام الأساسية للإنسان الخليفة في الأرض. وقد اتسع في مفهوم العبادة في الفكر الإسلامي لا ليقتصر على أداء شعائر تعبدية معينة، بل تجاوز ذلك إلى كلّ فعل مادي أو معنوي من شأنه أن ينهض بالإنسانية، ويبعثها على تحقيق الرقيّ والنهضة في كافة المجالات.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث الي الأثار السلبية التي نشأت من خلال تفعيل نموذج الحداثة الذي تبناه العالم في التقدم والتنمية والتطور الإنساني، فتنبه العالم إلى أن النظام الاقتصادي المهيمن (الرأسمالية الحرة) هو اقتصاد هدم يستنفد الموارد غير المتجددة، ويستغل الموارد المتجددة بدرجة أكبر من قدرتها على البقاء، ويتسبب في تغيير كيمائية الأرض وتشويه النظم البيئية عليها متسببا في حدوث أضرار لا يمكن إصلاحها لكل من الأرض والماء والهواء كما تسبب في شقاء الكثير من البشر وتفشى الفقر والظلم والتوحش.....الخ.

كما أن الاستخلاف في ملكية وسائل الإنتاج يمثل خروجا عن العبث الذي أشعل حربا طالما كانت السبب الرئيسي في الاختلاف بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي وهو شكل الملكية. لذا يهدف البحث في بناء نهج سلوكي في التعامل الصائب مع المال ووسائل الإنتاج لتعظيم الاستفادة من الموارد المتاحة، ويحقق

تنمية اقتصادية مستدامة وعدالة اجتماعية.

مشكلة البحث.

تتمثل مشكلة البحث في جهل الكثير بواجباته نحو نفسه ومجتمعه والإنسانية جميعا، لذا زاد الشقاء بين البشر بيد البشر. جهل الإنسان بواجب الخلافة الملقى على عاتقه جعله يسعى لمصلحته بأنانية، جهله بأن كل فرد خليفة مفوض لتحقيق سعادة ورفاهية نفسه ومجتمعه والإنسانية جميعا. لذا سعي الكثير الى احتكار الثروات الطبيعية والمال ووسائل الإنتاج وهي عماد الاقتصاد ولم يعطوا الآخرين حقوقهم.

فروض البحث.

يقوم البحث على الفروض الأتية:

١-استخلاف الإنسان في الأرض والمال يعني بالتبعية استخلاف الإنسان على وسائل الإنتاج.

٢-استخلاف الإنسان على الأرض والمال وبالتالي على وسائل الإنتاج، هو نهج وقائي من الوقوع الفرد والمجتمع والبشر في شقاء.

٣-الاستخلاف هو الأصل الذي يقوم عليه الاقتصاد. بأن هناك مسئولية جماعية على مالك وسائل الانتاج باعتباره منتفعا ومستخدما (مستثمراً)، كما أنه في انتفاعه واستخدامه لها يجب أن يراعي مصلحة المجتمع.

منهج البحث.

يقوم منهج البحث على الاستنباط وهو نوع من الاستدلال العقلي فقط وهو الوصول من المعلوم الي المجهول أو استخراج فكرة من فكرة او أكثر، والاستدلال هو استنتاج نتيجة من مقدمات؛ ووظيفته استخدام ما نعلمه في الوصول الي ما لا نعلمه.

وهو بحث نظري يقوم على عمليات ذهنية بقصد بناء ذهني نظري. وذلك من أجل الوصول الي الحلول العلمية الدقيقة عامة ضمن محيط معين. والبحث متخصص في بيان مفهوم الاستخلاف في ملكية وسائل الانتاج بعد التعرف على الاتجاهات المختلفة التي تحدثت عن الاستخلاف.

خطة البحث.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: ماهية الاستخلاف وعناصره وأشكاله.

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف.

المطلب الثاني: تحليل عناصر الاستخلاف وأشكاله.

المبحث الثاني: الاستخلاف في الواقع المعاصر.

المطلب الأول: الآثار السلبية لظاهرة ذمّ الدنيا والعزوف عنها (الامتناع عن القيام بالاستخلاف التسخيري)

المطلب الثاني: التطبيقات العملية للاستخلاف في الواقع المعاصر.

الخاتمة والنتائج

التوصيات

الهوامش والمراجع

المبحث الأول

ماهية الاستخلاف وعناصره وأشكاله

سوف نتناول في هذا المبحث مفهوم الاستخلاف وعناصره الثلاثة المتفق عليها والعنصر المختلف فيه ومن هذه العناصر الأربع سنتعرف على أشكال الاستخلاف ودرجاته وعلاقته بالاقتصاد وأثره في ملكية وسائل الإنتاج.

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف

أولا: مفهوم الاستخلاف في اللغة:

الاستخلاف مصدر الفعل استخلف يستخلف استخلافاً. وأصل الاستخلاف في اللغة من الجذر (خ ل ف)، والسين والتاء فيه للتأكيد. وفي القرآن الكريم ورد لفظ الاستخلاف ست مرات، وورد من نفس المجال المفهومي ألفاظ: الخليفة والخلفاء والخلائف تسع مرات، ومع أن عدد ورود اللفظ قليل إلا أن دلالاته على قدر كبير من الأهمية [٤].

ويأتي الاستخلاف لأحد معانٍ ثلاث [٥]:

المعنى الأول: أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ مريم:٥٩، والخلافة: راجعةٌ إلى الخَلْف، سميت بذلك لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه. وخَلَف فلانٌ فلاناً: إذا كان خليفته، يقال خلفه في قومه خلافةً، قال تعالى ﴿...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ... ﴾ الأعراف: ١٤٢.

واستخلف فلاناً: جعله مكانه، يقال: خلَّفت فلاناً أُخلِّفه تخليفاً، واستَخْلَفه: جعله خليفة.

المعنى الثاني: خلاف قدَّام، ويكون هذا المعنى بتسكين الوسط " خَلْف " يقال: هذا خَلْفي، وهذا قدامي، ومنه قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ البقرة: ٢٠٧.

المعنى الثالث: التَغيُّر [١] – يقال: خَلَف فوه، إذا تغيَّر – ومنه قوله ﷺ: لَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"[٧].

لذا، فهذه المعاني الثلاثة تعني الاحلال والتبديل والتَغيُّر. فالإحلال هو مجيء شيء بعد شيء وحلوله محله في حال وجوده أو لا. حيث أن الخليفة في اللغة التي نزل بها القرآن هو: من يخلف غيره ويقوم مقامه [٨]. إما التَغيُّر [٩] (تبدل أو تحول) يصبح الشيء على غير ما كان علية في حالته أو صفته. والتبدل [١٠] اتخاذ شئ بدل أو مكان شيء آخر.

يستنتج مما سبق أن الاستخلاف هو إحلال شيئ محل شيئ آخر في ظل وجوده أو عدمه، أو تحول الشيئ نفسه من حال الى حال أو من صفه الي صفه أو من ظرف الي ظرف (من مكان إلى مكان أو من زمن إلى زمن).

ثانيا: مفهوم الاستخلاف في الاصطلاح:

استخدم مصطلح "الاستخلاف"، ويقصد به أحد الأمور التالية:

١- (استخلاف عهد) أن يعهد الحاكم لشخص آخر في أن يقوم بالأمر بعده، سواءً كان ذلك مؤقتاً، بأن كان الحاكم موجوداً ولكن رغب في إحلال آخر محله لظرف ألمَّ به كسفر ونحوه، ومن ذلك استخلاف الرسول ﷺ لبعض صحابته على المدينة في حال سفره[١١]. أو استخلاف الحاكم خليفة بعد موته على رعيته ومن ذلك استخلاف أبي بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما. وهذا الاستخلاف بمفهومه السياسي يطلق عليه " العهد " ويبحثه العلماء في كتب الأحكام السلطانية [١٢].

٢- (استخلاف وراثة) أن تحلَّ أمة محل أخرى، أو فرد محل آخر في ملكية الأراضي والأموال. وهذا المفهوم بحثه العلماء عند تفسيرهم لآيات الاستخلاف في القرآن الكريم [١٣]، أو شرحهم لأحاديث الاستخلاف في الأموال في سنة المصطفى ﷺ [١٤].

٣- (استخلاف نيابة ووكالة) ملكية المستخلف فيما كان للمستخلف عنه وقيامه بالأمر نيابة عنه. فالخلافة عن الله عزَّ وجل في أرضه وأمواله. أي أن الله جلَّ وعلا جعل آدم عليه السلام وذريته خلفاءه في أرضه لإقامة شرعه والحكم بالعدل بين خلقه نيابة عنه [١٥].

فكبار الصوفية كابن عربي وأمثاله فسَّروا الخليفة بأنه الخليفة عن الله فهو نائب عن الله تعالى، وبالتالي أخذوا من الفلاسفة مقولتهم: أن الإنسان هو العالم الصغير، وأن الله هو العالم الكبير وشطحوا إلى القول بوحدة الوجود حاشا لله [١٦]. وهذا ما لا يقبله أي عقل أو فكر سليم.

وما يجدر ذكره أنه لايوجد تعريفاً للاستخلاف في كتب التفاسير وشروح الحديث [١٧] يبين ماهيته ويجمع أنواعه ويميزه عن غيره، ولعل السبب في ذلك الاكتفاء بمفهومه في اللغة لوضوحه. فالعلماء [١٨] يتفقون في بعض المسائل المتعلقة بالاستخلاف، ككونه من الله، فهو المستخلِف جلَّ وعلا. وتقسيمهم الاستخلاف إلى قسمين عام لجميع البشر (استخلاف البشر كلهم في الأرض)، وخاص لبعضهم (تستقل أمة من الأمم أو فرد من الأفراد في ملكية شيء من الأشياء). وأنه يكون في الأرض وفي المال. ويختلفون في بعض مسائله، ولعل من أهمها مسألة الاستخلاف عمن، هل هو عمن سبق من الأمم والأفراد، أم هو عن الله عزَّ وجلَّ.

المطلب الثاني: تحليل عناصر الاستخلاف وأشكاله.

الإنسان هو المستَخْلَف وهو موضوع الاستخلاف. لذلك نجد الاستخلاف يتضمن وجود أربعة عناصر: مستَخْلِف، ومستَخْلَف، ومستَخْلَف فيه، ومستَخْلَف عنه. اتفق أغلب العلماءعلى عناصر ثلاث وهي: المستَخْلِف، والمستَخْلَف، والمستَخْلَف فيه. واختلفوا في المستَخْلَف عنه.

أولا: تحليل عناصر الاستخلاف المتفق عليها من أغلب العلماء.

١- المستَخْلِف (استخلاف ربوبية)

من المسلَّم به في العقيدة أن الله جلَّ وعلا هو الذي يستخلف من يشاء من عباده على ما شاء من ماله وذلك بمشيئته الكونية القدرية [١٩] فهو الذي استخلف الإنسان في الأرض وسخر له ما فيها مما يحتاج إليه

في معاشه، وهو الذي يستخلف الجيل تلو الجيل على هذه الأرض، والأيدي تلو الأيدي على الأموال. فالله يهب يعطي بمن يعز يزل من يشاء ويبسط الرزق ويقدر لمن يشاء، وينيب ويوكل ويولي من يشاء من عباده على ما شاء من ملكوته وعباده سواءً في الاستخلاف العام أو الخاص، كمالك مطلق لكل شئ في الكون ومنها الأرض والسموات وما بينهما. وهي كلها من الإيمان بربوبيته وتفرده بالخلق، والرزق، والتدبير وهو توحيد الله بأفعاله.

فالرب يطلق في اللغة [٢٠] على المالك، والسيد، والمدبّر، والمربي، والقيّم، والمنعم. وأيضا الرب: هو الله -عز وجل- هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.

والآيات التي وردت في الاستخلاف تدل على ذلك، فمنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة :٣٠ وقوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ سورة ص : ٢٦ ، وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الأنعام:١٦٥ فالضمائر "إني، أنا، هو " تدل على نسبة هذا الفعل إليه جلَّ وعلا وهو الاستخلاف، هذا في الاستخلاف العام [٢١].

أما في الاستخلاف الخاص قال تعالى:﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾الحديد:٧، ففي قوله " جعلكم " دليل على أنَّ أصل ملك الاشياء الذي يملكه الإنسان والفعل لله جلَّ وعلا وأنه هو الذي استخلف عبده فيه [٢٢].

إذا الاستخلاف من عند الله عزَّ وجل فهو الذي استخلف عباده في أرضه والأشياء التي تساعدة وتعينه على معاشه (وسائل الانتاج) وهذا من فضل الله على الإنسان وفعله.

يقول الطبري في تأويله لقوله تعالى (وهو أيضا تأويل أهل العلم كما قال الطبري) [٢٣] "﴿... قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾سبأ:٣٦ .. مِنَ الْمَعَاشِ وَالرِّيَاشِ فِي الدُّنْيَا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة :٢٦١ مِنْ خَلْقِهِ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ الرعد٢٦ فَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لَا لِمَحَبَّةٍ فِيمَنْ يَبْسُطُ لَهُ ذَلِكَ وَلَا خَيْرٍ فِيهِ وَلَا زُلْفَةٍ لَهُ، اسْتَحَقَّ بِهَا مِنْهُ، وَلَا لِبُغْضٍ مِنْهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَلَا مَقْتٍ، وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِحْنَةً لِعِبَادِهِ وَابْتِلَاءً، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ اخْتِبَارًا لِعِبَادِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مَحَبَّةٌ لِمَنْ بَسَطَ لَهُ وَمَقْتٌ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ". إذا الله سبحانه وتعالي هو الذي بفعله يضيق أو يبسط الرزق لمن يشاء مسلماً كان أو غير مسلماً.

إن هذا يمثل القاعدة العقيدية، التي تقوم عليها حياة الإنسان في كافة مجالاته ومنها الاقتصاد، حيث اعتبار المال ومنه وسائل الانتاج -في الحقيقة-مال الله قال تعالى﴿ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾النور: ٣٣، فالله هو مالك المال، لأنه خالقه وخالق مصادر إنتاجه، وميسر وسائل اكتسابه، بل هو خالق الإنسان والكون كله، واستخلافه ذلك محنة لعباده وابتلاءً، واعتبار الإنسان أميناً عليه من أجل البشرية.

فيقول تعالى:﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ذكرت ١١ مرة[٢٤]. ويقول أيضا﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾الواقعة: الآيات ٦٣-٦٤-٦٥. ويقول:﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ واللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾آل عمران: ١٨٠.

إذا فالله المالك الأصيل لكل شئ والمتصرف في كل شئ، ويد الإنسان على المال هي يد النائب والوكيل والأمين والراع عن الإنسانية جميعا كما أن الله الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم أي يسترجع ما آتاهم من فضله وهو الكسب والرزق.

فالإنسان يسعى في اقتناء المكسب لينفق ما آتاه الله منه في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع أثمانها والتصدق على الفقراء مما ذاد عن حاجاته وضروراته. يقول ابن خلدون " تلك المكاسب معاشاً إن كانتا بمقدار الضرورة والحاجة ورياشاً ومتمولاً إن زادت على ذلك. ثم إن ذلك الحاصل أو المقتنى إن عادت منفعته على العبد وحصلت له ثمرته من إنفاقه في مصالحه حاجاته سمي ذلك رزقاً. قال ﷺ: إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وإن لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة إلى المالك رزقاً والمتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته يسمى كسباً[٢٥] ".

إعطاء أو إمداد الإنسان المكلف بواجب الإنتاج بما هو لازم لممارسة هذا الواجب، المستمد من مسئولية المجتمع المستخلف في الأرض بإمداد وكلاءه القادرين على القيام بلازم الخلافة-من إعمار وإنتاج- بما هو لازم لممارسته. فمن الأفضل لحل المشاكل الاجتماعية خاصة الفقر عن طريق الواجب وهو ممارسة الإنتاج للإنسان القادر عن العمل وليس عن طريق الحق وهو حق الاستهلاك الثابت لكل محتاج. ولكن الفقير لايملك -ويستطيع أن يملك-أداة الإنتاج التي يستلزمها قيامه بواجب الانتاج وتوفير هذه الاداة حينئذ شئ من مسئولية الجماعة أو المجتمع أو الدولة، إذ يجب على الموكل أن يمد وكيله بما هو لازم للوكالة[٢٦].

يستنتج مما سبق أن هذا العنصر من الاستخلاف يربط كل شئ في الكون ومنها الأرض والإنسان نفسه ومجالات حياته (ومنها الاقتصاد) بالعقيدة والارتباط يظهر في توحيد الربوبية (استخلاف ربوبية). حيث أن كل ما في الكون ملك الله ومنها الإنسان والأرض والمال ووسائل الإنتاج، وسخر ذلك كله لنفع الإنسان، كما أن لله سبحانه وتعالى، التصرف الكامل كيفما شاء فيما يملك ومنها المال يهبه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء مسلماً كان أو غير مسلم.

ومن ثم يمكن الخروج بالشكل الأول من أشكال الاستخلاف وهو أن الله المالك لكل شئ والمتصرف في ملكه كيفما يشاء ومنها وسائل الإنتاج (عقيدة).

٢- المستَخْلَف (استخلاف بشري)

المستَخْلَف في الأرض هو آدم وذريته من بعده[٢٧]. وهذا قول جمهور المفسرين[٢٨]. وذلك على اعتبار أن المقصود بقوله تعالى:﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾يشمل ذرية آدم من بعده[٢٩]. كما أن آيات الاستخلاف في القرآن الكريم تبين أن الله جلَّ وعلا استخلف البشر جميعاً في الأرض، فمنها قوله

تعالى﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ... ﴾. الأنعام: ١٦٥، وقوله﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ... ﴾فاطر:٣٩. فهي خلافة عامة للبشر جميعاً.

اما قوله تعالى" آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" الحديد ٧ ينسب الي المستَخْلَف الخاص وهو مالك المال، فهو المستَخْلَف فيه عمن قبله.

إن الإنسان(البشر) الذي تم تكريمه بالعقل ومن ثم استخلاف الأرض، يؤدي به الى الإنسانية التي هي مجموعة من الأفكار والتصرفات الحميدة الصادرة عن الفرد والتي تدمج ما بين العقل والروح لتُبين أهمية وجود الإنسان وقيمته في المجتمع.

كما أن الإنسانية تكسب الإنسان مجموعة من العوامل الإيجابية في نفسه وفعل كل ما هو مفيد وصالح للآخرين من حوله مثل الرحمة والعطاء والإحسان والعدالة، أي مجموعة العلاقات التي تربطه بغيره من البشر أو حتى الكائنات الأخرى من حوله، وهى التي يكون الأسس النبيلة فيها، هي المحرك والأساس في تعامله معها مثل ميله إلى المساواة، التحرر من الأنانية ومراعاة مصالح الآخرين وتطبيق النظرة الكلية للأديان والتي تقوم على تحقيق المصلحة الحياتية للإنسان وللآخرين من حوله دون انفراد بنفسه، وهي أيضاً بغض الإنسان الفطري لكل ما يخالف الأسس الإيجابية مثل الأنانية والفضول والنزعات الحيوانية وحب الإمتلاك والخداع إذا.

يستنتج مما سبق أن هذا العنصر من الاستخلاف يحدد البشر جميعا هم المستخلفون لا غيرهم من المخلوقات، فالاستخلاف لا يقتصر على أحد من البشر، بل شملهم جميعا ولكن الاختلاف بينهم على قدر طاقتهم وقدراتهم. وهو الشكل الثاني للاستخلاف.

٣- المستَخْلَف فيه :(استخلاف تسخيري)

المستَخْلَف فيه هي الأرض (بقصدها هو كلّ وجود ما عدا وجود الله سبحانه ممّا خلقه وصيّره للإنسان مسخّرا). فقد سخر الله الأرض وما عليها وما بين السماوات والارض للإنسان، ووهبها له وجعله سلطان عليها بالعقل والفكر. لذا فإن ما سخره الله للإنسان من حقه أن ينتفع به ويتصرف فيه كيفما شاء لكن وفق الضوابط المشروعة.

يدل على ذلك قوله تعالى﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ﴾فقوله " في" للاستغراق: أي في جميع الأرض، فلا يختص ذلك بمكان دون آخر (٣٠).

فالاستخلاف العام شامل لجميع الأرض دون مكان بعينه يدل على ذلك آيات الاستخلاف العام التي وردت بلفظ " الأرض " كقوله تعالى﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾النمل ٦٢، وقوله﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾، وهذا لا يخص مكاناً دون آخر.

كما أن الخالق عز وجل المالك لكل شيء والتي سخرها لكل البشر، حيث يقول تعالى:﴿ .... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾المائد: رقم١٧، وقال﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ... ﴾الجاثية:١٣. فقد سخّر الله تعالى للإنسان كثيرا من المظاهر الطبيعية، فقد سخّر له الشمس والقمر، والليل والنّهار، والفلك والأنهار والبحار، كما في قوله

تعالى:(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) إبراهيم ٣٢-٣٣. وسخر الإبل كما في قوله تعالى:﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾الحج: ٣٧.

كما سخر البشر لخدمة بعضهم البعض، فالإنسان للإنسان، حيث يقول تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الزخرف: ٣٢ ، قال عَزَّ وَجَل مُبَيِّنا أَنَّهُ قَدْ فَاوَتَ بَيْنَ خَلْقِه فِيمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْعُقُولِ وَالْفُهُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فَقَالَ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، وَقَوْلُه جَلَّتْ عَظَمَتُه:﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾قِيلَ مَعْنَاهُ لِيُسَخِّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَعْمَالِ لِاحْتِيَاجِ هَذَا إِلَى هَذَا وَهَذَا إِلَى هَذَا قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُه وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ لِيَمْلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أَيْ رَحْمَةُ اللَّه بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [٣١]. فيسخر الأغنياء الفقراء فيكون به بعضهم سببا لمعاش بعض.

قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الانعام :١٦٥. ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أي : جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وخلفا بعد سلف. وقوله درجات أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق وقوله :ليبلوكم أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره [٣٢].

كما أسند الله الملكية في القرآن إلى سواه [٣٣] البشر ككل لا لفرد أو جماعة بعينها في معرض الحديث عن الأنعام في قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ *وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ *وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾يس ٧١-٧٤.

أي أنهم منتفعون ومتصرفون فيها كيفما يشاءوا بالضبط وغيره، حيث سخر لهم من الأنعام وذللها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل أثقالهم ومحاملهم وأمتعتهم من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفء، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أثاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير ذلك من المنافع المشاهدة منها، (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) اللّه تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة [٣٤].

اما المستَخْلَف فيه في الاستخلاف الخاص، هو ما تحت يد الإنسان من الاشياء مما يملك سواءً كانت عقارات أو منقولات معد للانتاج أو معد للاستهلاك. يدل على ذلك الآية التي وردت في الاستخلاف الخاص وهي قوله تعالى﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾الحديد:٧ فالمستخلَف فيه هي الأموال التي بأيديكم أورثكم الله إياها عمن كان قبلكم فيجعلكم خلفاء لهم فيها [٣٥].

كما يدل على ذلك أيضاً الآيات التي أثبتت الملكية الخاصة للإنسان وأن هذا الملك من رزق الله كقوله تعالى﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾المنافقون: ١٠، وقوله﴿ وآتوهم من مال الله الذي ءاتاكم ﴾النور: ٣٣.

كما أن القرآن الكريم أضاف كلمة المال إلى ضمير الفرد عدة مرات غلب عليها صفة الذم منها: ﴿ ويل لكل همزة لمزه * الذي جمع مالا وعدده * أيحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحطمة ﴾الهمزة: ١-٤.﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب ﴾المسد: ١-٣، كما أضيفت كلمة المال إلى ضمير الجمع في القرآن أكثر من مرة أيضا منها:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾التوبة: ١٠٣.﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾النساء: ٢.

يستنتج مما سبق أنّ كلّ ما في العالم (البيئة) مسخّر للإنسان، وليس هناك شيء محظور يحرم على الإنسان اكتشافه أو التفكير فيه، أو تذليله لمصلحته، أو البحث فيه ودراسته. لقد وضع الله أمام الإنسان حوافز أو تحدّيات كثيرة ليكتشف ما أودع الله تعالى فيه من طاقات كامنة. كما اسند الملكية، سواء للإنسان أو لأفراد أو لجماعات أو للمسئول عن الأفراد والجماعات.

إنّ تسخير كلّ المظاهر الطبيعية والمخلوقات لا يتوقف عند حدود الانتفاع المادي فحسب، بل يقود إلى توحيد الالوهية، لأنّه نعمة تذكّر بالمنعم سبحانه وأنّه واحد أحد.

إن السنن التسخيرية (الاستخلاف التسخيري) واقعة ضمن السنن الإلهية ذات الصلة بالطبيعة. إنّ تسخير ما في الارض هو أحد مهامّ الإنسان في الحياة مكلف بها من الله، ويعني البحث في وجوه الانتفاع ممّا ذلّله الله تعالى للإنسان في الارض وتطويعه وتوظيفه بالعمل الدؤوب الهادف، فضلا عن الدواعي الاقتصادية بطلب الرزق وكسب العيش، الدّواعي الإنسانية من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وإطعام جائع، وسدّ حاجة فقير، فالموجّه الحقيقي للعمل والمرشد له هو الله الذي عدّ الدواعي الإنسانية مطلبا أساسيا، ومقصدا ضروريا للعمل الصالح. وبهذا العمل المنهجي الهادف يستطيع الإنسان أن يثوّر كنوز الأرض وأسرارها؛ ليحقّق أهدافه، ويؤدّي واجباته.فالمسخّرات ينبغي أن تكون عونا للإنسان في أداء مهامّه في الأرض، لا أن تكون عبئاعليه. لذا تدمير الموارد الطبيعة، واستنزافها بشكلسئ، مما يؤثر سلبا على حقوق الأجيال القادمة، ليشبع نهمه وجشعه وطمعه، ويحرم الأجيال القادمة من الحياة الآمنة غير مقبول.

لذا، فإن القيام بواجب الخلافة، كما أخبر سبحانه:(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة: ٣٠، يعني: أن يكون الإنسان سلطانا في الكون بغية تطبيق المهمّة التي كلّفه بها ائتماراً بما أمر، وانتهاء عمّا نهى [٣٦]. فالإنسان مدعوّ من منطلق الخلافة إلى تسخير الأرض والكائنات لما فيه النفع: نفعه ونفع الكائنات من حوله، ومدعوّ إلى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه، ومدعوّ إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير. والإنسان من منطلق الخلافة هو صاحب الشأن والكلمة في الارض، ومطالب بالسعي والإعمار. وبالعلم والإعمار والتسخير يحقّق الإنسان مهمّته في هذه الأرض، ويبلغ غايته [٣٧].

يستنتج مما سبق أنه سبحانه وتعالى مالك كل شئ ومتصرف في كل شئ كيفما يشاء ولمن يشاء (استخلاف ربوبية). وأنه سبحانه سخر كل شئ يعين الإنسان لعبادته وعمارة الأرض (استخلاف تسخيري). سبحانه اسند ملكية المسخرات الى الإنسان ككل والي الإنسان كفرد خلفا بعد سلف إبتلاءا وإختبارا (استخلاف

بشري). كل هذا بأطر المبادئ التي ينظم بها الاستخلاف التملك، وهي لا تنعكس على إجراءات مادية، إنما هي بمثابة إعداد ايماني وتربية وجدانية وعقلية عند من يمتلك ويتصرف فيما يملك.

ومن ثم فإن الاستخلاف في الأرض وغيره يقتضي من كل إنسان أن يحرص على نفع الناس، وكذلك استشعاره لمسئوليته عن الفقراء والمحتاجين وسعيه لتخفيف معاناة المستضعفين في الأرض بكل ما يملكه من الوسائل، ومحاربة الفساد مطلقا بكل أنواعه، فالإنسان الذي هو مستخلف في الأرض يسعى لعمارتها وتهيئتها حتى لمن يأتي بعده. فالاستخلاف في الأرض معناه أن كل ما في الأرض وهبه الله لهذا الجنس البشري بما فيها الإنسان نفسه، واستخلفه فيه.

مما سبق يمكن الخروج بالشكل الثالث للاستخلاف وهو أن الأرض وما عليها بما فيها البشر ووسائل الإنتاج مسخرة لخدمة البشر جميعا أفرادا وجماعات ليتطلع الإنسان بواجباته.

هذا الشكل من الاستخلاف يمثل البيئة الحاضنة للإنسان فيها سعادته وفيها شقاؤه، إن أحسن لها أحسنت له وإن أساء لها وقصر في النهل منها كانت سبب شقاءه. لذا الحفاظ عليها واجب.

ثانيا: تحليل العنصر الرابع المستَخْلَف عنه المختلف عليه.

اختلف العلماء فيمن هو المستخلف عنه.

القول الأول:(استخلاف عن مخلوقات غير بشرية) أن خلافة آدم وذريته عمن سبق من الأمم التي كانت موجودة في الأرض من قبلهم، فهم خلفوهم في سكنى الأرض من بعدهم [٣٨]. أصحاب هذا القول اختلفوا فيمن هم الساكنين في الأرض قبل آدم، فقيل إنهم هم الجن، وقيل إنهم جنس آخر [٣٩]، وقيل أنهم الملائكة [٤٠].

القول الثاني: (استخلاف نيابة عن الله) أن الخلافة عن الله عزَّ وجل في أرضه وأمواله. أي أن الله جلَّ وعلا جعل آدم عليه السلام وذريته خلفاءه في أرضه لإقامة شرعه والحكم بالعدل بين خلقه نيابة عنه [٤١].

وهناك من يرجع ذلك الى أن الخليفة في اللغة التي نزل بها القرآن هو: من يخلف غيره ويقوم مقامه [٤٢]، فيكون " الخليفة " في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾البقرة: ٣٠ وهو آدم عليه السلام وذريته –خلفاء عن الله في أرضه وعلى ماله، فهو الذي خلقه لهم واستخلفهم عنه فيه.

كما إن البعض استدل علي وجه الاحتمال من قوله تعالي:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾سورة ص : ٢٦ إن الله سبحانه وتعالى أراد ان يستخلف من عباده من يشاء على من يشاء، بمعني يمنّ على من يشاء من عباده. وداود عليه السلام قد منّ الله عليه واستخلفه في أرضه، وبيَّن له ما يقتضيه هذا الاستخلاف من الحكم بين عباده [٤٣]، اي داود خليفة عن الله في ارضه.

هذا القول يقتضي أمرين [٤٤]: الحلول محل المستخلَف عنه وهو الله وقيام الإنسان مقامه. وملكية المستخلَف فيما كان للمستخلف عنه وقيامه بالأمر نيابة عنه. وهذا كله منتف عن الله عزَّ وجلَّ، فالله ليس له نائب ولا وكيل ولا خليفة ولم يسند أمره لأحد، بل هو جلَّ وعلا خليفة غيره، وكيل على كل شيء﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾هود:١٢.

هذا التفسير **(أن الإنسان وكيل لله)** استغله بعض الملوك والحكام والأغنياء، باعتبارهم مالكون في الأرض أو المال عن الله، وعلى رعيتهم وفقرائهم أن تسمع وتطيع في كل ما أمروا به من خير أو شر، بحجة أنهم نائبون عن الله. وهو ما رسخ مبدأ الأفضلية على الغير والكبرياء والانانية والدعوة الى ما يعرف بالمصلحة الخاصة والاحتكار والتي قد تبنى على ضرر الآخرين.

القول الثالث: (استخلاف وراثة) أن المقصود بالخليفة خلافة البشر بعضهم عن بعض [٤٥]، ذلك أن من خصائص الإنسان المخلوق "آدم عليه السلام" أن يتناسل فيخلف بعضه بعضاً، فهو "خليفة" بمعنى مخلوف من ذريته، ثم إنهم خلفاء يخلف بعضهم بعضاً.

لهذا تم تفسير﴿ أني جاعل في الارض خليفة ﴾، أي أن هذه الآية تعني خلافة البشر لمن كان قبلهم من البشر، وسيخلفهم من يأتي بعدهم [٤٦] من البشر.

فالآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ الاستخلاف ومشتقاته كـ " خلفاء" و"خلائف" تدل على أن الخلافة عن الأمم السابقة من البشر: فيحمل معنى آية الخلافة في سورة البقرة عليها وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، وهو أولى من تفسيره بغيره [٤٧].

اما قوله تعالى﴿ أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾الحديد:٧، ينسب الي المستَخْلَف الخاص وهو مالك المال، فهو المستَخْلَف فيه عمن قبله.

يقول القرطبي [٤٨] في تفسيره" أنفقوا في سبيل الله. قيل: المراد: الزكاة المفروضة. وقيل: المراد: غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة. **وقال الحسن: مستخلفين فيه بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم.** وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم. فالذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم وأنفقوا في سبيل الله لهم أجر كبير وهو الجنة".

كما أن قول ابن كثير[٤٩]" في تفسير الآية ذاتها: قد حث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم، ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه وقوله:(مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفا عنك، **فلعل وارثك أن يطيع الله فيه**، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان".

لقد كان أهل الجاهلية ينفقون في اللذات، والمفاخرة والمقامرة، ومعاقرة الخمر، ويمنعون الانفاق على اليتيم والمسكين ويأكلون حقوق الاخرين. وقد وصفهم القرآن بذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى﴿بل لا

تكرمون اليتيم* ولا تحضون على طعام المسكين* وتأكلون التراث أكلا لما* وتحبون المال حبا جما﴾ الفجر ١٧-٢٠.

تحليل الاقوال السابقة

الخلافة عن الغير تقتضي النيابة عنه والحلول مكانه، لأن الخلافة عن الغير تكون إما بسبب موته، أو رحيله إلى مكان آخر، أو عجزه، أو تشريفا، فحاشا لله أن يخلفه الإنسان، فالله سبحانه وتعالى حيّ قيوم لا يموت ولا يغيب وهو قادر على كل شيء [٥٠]. وبالتالي الإنسان يكون خليفة الله بهذا الشكل في أرضه يصعب تصورها [٥١].

يقول ابن خلدون [٥٢]" واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة التي للآدميين في قوله تعالى﴿ إني جاعل في الأرض خليفة﴾ البقرة ٣٠. وقوله﴿ جعلكم خلائف الأرض﴾ الانعام ١٦٥. ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه ونهى أبو بكر عنه لما دُعي به، ولكني خليفة رسول الله ﷺ . ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب، أما الحاضر فلا".

وهناك من يرى الخلافة عن الغير، إما لغيبة المنوب، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلَف [٥٣]، فلا يلزم من كون الإنسان خليفة عن الله جلَّ وعلا في أرضه عدم وجوده، فالاستخلاف قد يكون لتشريف المستخلَف مع وجود المستخلِف [٥٤].

غير أن ما تقتضيه الخلافة عن الغير سواء كان الاستخلاف تشريف أو غيره [٥٥]، هو الحلول محله والقيام بالأمر نيابة عنه، حيث أن معنى الخلافة في اللغة: حلول المستخلَف محل المستخلف عنه، مما يعني عدم وجوده، وهذا منتفٍ عن الله عزَّ وجل [٥٦] كما قال عن نفسه﴿ وهو معكم أينما كنتم)الحديد:٤. والله جلَّ وعلا مستوٍ على عرشه عالم بما يفعله عباده يقدِّر ما يشاء كما يشاء فلا أحد خليفة عنه.

كما أن جمهور المفسرين [٥٧] في تفسير قوله تعالى﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ص:٢٦، يرون أن داوود مستخلف من الله على أرضه عمن كان قبله وهو الملك طالوت.

كما ان الله جلَّ وعلا هو خليفة غيره كما جاء عن النبي ﷺ في حديث دعاء السفر " اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم أصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا "[٥٨]، أما غيره فلا يكون خليفة له [٥٩]. لذا يتبنى البعض وجهة النظرة المبنية على استخلاف الإنسان محل الإنسان استخلاف وراثة.

يستنتج مما سبق أن الإنسان في مجموعه وخصوصه مستخلفا فيما هو معه (من أموال ووسائل انتاج وغيرها....) استخلاف وراثة، وصفه البعض على أنه على سبيل العارية، فقد كان في أيدي من قبله، ثم صار إليه، ثم سيصير الي غيره. وهذا يدل على إن كانت بأمواله(ملكه)، إلا أنه فيها بمنزلة النائب والوكيل. وهنا يكون الإنسان نائب أو وكيل عن ورثته.

وبالتالي يمكن الخروج بالشكل الرابع للاستخلاف وهو الإنسان في مجموعه وخصوصه نائب أو وكيل عن ورثته فيما يسمي اليوم بالحفاظ على حقوق الأجيال القادمة (التنمية المستدامة).

ثالثا: استخلاف عمارة.

إذا أخذنا بوجهات النظر التالية:

- وجهة النظرة المبنية على استخلاف الإنسان محل الإنسان استخلاف وراثة وليس استخلاف الإنسان عن الله، أي خلافة بشر لمن كان قبلهم من البشر، وسيخلفهم من يأتي بعدهم [٦٠] من البشر (تنمية مستدامة).

- بالاضافة الى تبني الاستخلاف البشري والاستخلاف التسخيري، إذا القيام بواجب الخلافة، تعني:" أن يكون الإنسان سلطانا في الكون بغية تطبيق المهمّة التي كلّفه بها ائتماراً بما أمر، وانتهاء عمّا نهى. فالإنسان مدعوّ لتسخير الأرض والكائنات لما فيه النفع: نفعه ونفع الكائنات من حوله، ومدعوّ إلى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه، ومدعوّ إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير. فالإنسان من منطلق الخلافة التسخيرية هو صاحب الشأن والكلمة في الأرض (البئية)، ومطالب بالسعي والإعمار ليحقّق مهمّته في هذه الأرض، ويبلغ غايته.

- مع تبني استخلاف الربوبية، حيث أن كل ما في الكون ملك الله ومنها الأرض والمال ووسائل الانتاج، وسخر ذلك كله لنفع الإنسان، كما أن لله سبحانه وتعالى التصرف الكامل كيفما شاء فيما يملك ومنها المال يسنده لمن يشاء وينزعه ممن يشاء مسلما كان أو غير مسلما، اختباراً وفتنة.

يمكن استنتاج الشكل الخامس للاستخلاف وهو استخلاف العمارة والذي يقوم على الاشكال الأربعة وهي: استخلاف ربوبية واستخلاف بشري واستخلاف تسخيري واستخلاف وراثة، من أجل عمارة الأرض طبقا لأوامر ونواهي الله خالق الكون ومسخره للإنسان، إذا المقصود بالاستخلاف هو خلافة البشر عن بعضهم البعض استخلاف عمارة وليس استخلاف وراثة فقط من أجل عمارة الأرض وعبادة الله.

فالإنسان كائن اجتماعي بالفطرة لا تصح حياته بدون مجتمع وتعاون. يقول ابن خلدون [٦١]" وإذ كان التعاون حصّل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فإذا هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يُتخيل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران". فمن خصائص الإنسان انه مهيأ فطريا للعيش مع الآخر، وهو يحتاج يده وذلك لجعل حياته ممكنة. فالعمران مرتبطا بغاية خلق الإنسان، وتصبح خلافة الإنسان في الأرض مسئولية كل فرد على تحقيقها في ذاته أولا، بحيث تكون من هذا الوجه مسئولية فردية، ثم على تحقيقها اجتماعيا داخل العمران الإنساني كمسئولية جماعية يخدم بعضه بعضا دون ظلم.

يقول ابن خلدون " إذ الحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لأنه، لا يكون إلا بالفكر. ولما كانت الحواس المعتبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة، وغير المنتظمة إنما هي تبع لها، اندرجت أفعال الحيونات فيها، فكانت مسخرة للبشر، واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه، فكان كله في طاعته ومسخر له. وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة فهذا الفكر هو الخاصية البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان. وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيتة [٦٢]."

معني هذا إن معرفة أسباب الحوادث (الظواهر) وقوانينها يقوم الإنسان إلى إدراك هذه الحوادث. وإدراك هذه القوانين يتم بالفكر (العقل) والذي هو خاصية للبشر.

وايضا يقول [٦٣]"والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال (خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الأنعام). وكثير من شواهده. ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف. وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك. وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض".

من ثم فإن الخلافة عند ابن خلدون تأخذ شكل الهيمنة والسيطرة (استخلاف تسخيري وعمارة)، التي تضع البشر على أعلى رتبة في سلم المخلوقات، إلا أنها هيمنةٌ مسئولةٌ دورها الأساسي هو المحافظة على الحياة أولاً، ثم الوصول إلى أكمل صورة ممكنة لها في هذه الدنيا. ذلك أنه من الممكن أن يصل الإنسان إلى نوع من السيادة في هذا العالم، ولكن هذه السيادة لا تكون سيادةَ شرٍ وعدوان واستغلال.

يقول ابن الجوزية[٦٤]" فإنه الله تعالى شرف المال وعظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواما للآدمي الشريف فهو شريف فقال تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) ونهى الله تعالى أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال: (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) وقد صح عن رسول الله أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس". هذا يدل على أن الإنسان في ماله نائب عن ورثته في استخدام هذا المال فلا يضيعه بل ينميه ويحافظ عليه لورثته وللمجتمع.

كما يقول ابن الجوزي أيضا [٦٥]" فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البُلْغة(ما يكفي لسدّ حاجة ولا يفضُل عنها) من حلها فذلك أمر لا بد منه وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الأخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته وبإسناد عن ابن عمر أن رسول الله أقطع الزبير حضر فرسه بأرض يقال لها ثرثر فأجرى فرسه حتى قام ثم رمى سوطه فقال: [أعطوه حيث بلغ السوط] وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسع علي. وقال إخوة يوسف: " ونزداد كيل بعير. وقال شعيب لموسى: فإن أتممت عشرا فمن عندك. وإن أيوب لما عوفي نثر عليه رجل من جراد من ذهب، فأخذ يحثى في ثوبه ويستكثر منه، فقيل له: أما شبعت؟ فقال: يا رب فقير يشبع من فضلك؟ وهذا أمر مركوز في الطباع".

كل ما سبق يبين أن الإنسان في ماله الذي يقصد جمعه والاستكثار منه نائب عن مجتمعه فيه، حيث التوسعة به على أقرباءه وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب وجمعه أفضل من كثير من الطاعات.

لذا نجد أن هناك نوعية من الإجراءات والتنظيمات تتجه إلى أن الملكية في خدمة المجتمع ككل من حيث تنظيم النشأة، ومن حيث تنظيم الاكتساب ومن حيث تنظيم الاستثمار، ثم من حيث نقلها والتدخل فيها، بل ومن حيث استخدامها واستعمالها.

فإذا كان الاستخلاف قد أعطى للأفراد حق تملك المال ملكية خاصة، كما أعطى لهم حق استثمار هذا المال في الأنشطة الاقتصادية التي يختارونها، الا أنه أخضع ذلك لمجموعة من الضوابط، وهي حقوق وواجبات ينظم بها سلوك من بيده المال في المجتمع. وهذه الضوابط يجب أن يعمل مالك المال على أن يحققها ويكون الإخلال بها إخلالاً بمنهج الاستخلاف في استخدام المال واستثماره، وهو ما بينه ابن الجوزية.

إن المال في الاستخلاف، له وظيفة اجتماعية، والتصرف به كسباً وإنفاقاً، مرهون بتحقيق تلك الوظيفة للفرد والأمة على حدّ سواء وأي تصرف اقتصادي أو امتناع عن تصرف يلحق الضرر بالجماعة، محظور، ويحتاج صاحبه إلى وصاية وحجر [٦٦].

ومما يجدر ملاحظته أن استخلاف الربوبية والتسخيري والبشري والوراثي بهذه الرؤية إنما هو عاملٌ مؤثّر في الاقتصاد وموجهٌ له (جانب أخلاقي). انما استخلاف العمران هو الأصل الذي يبنى عليه الاقتصاد (جانب سلوكي)، فالاستخلاف بصفة عامة يضع الإنسان على أعلى رتبة في سلم المخلوقات، بشرط أن يصاحب البقاء في ذلك الموقع الشعور الدائم بالمسئولية التي تتطلبها أمانة الاستخلاف نحو اسرته واقرباءه ومجتمعة والإنسانية جمعاء. وهو ما يبتطلب وضع اليات تطبيقية تحقق المسئولية الاجتماعية للمال ومنه وسائل الإنتاج ليس فقط قائمة على الاخلاق.

لذا يتدخل الاستخلاف العمراني في الملكية الخاصة بالتنظيم في وسائل اكتسابها، كذلك ينظم استثمارها بحيث يراعى في تشغيل المال توفير احتياجات المجتمع، وتحقيق الرفاهية والتقدم لأفراده. فاستثمار الملكية الخاصة يراعى فيه اتجاهات جماعية، بجانب قيامه على المصلحة الفردية، كما أن استهداف تغطية مثل هذه الاحتياجات، يجعل توزيع الدخول . والدخل يتولد خلال عمليات الاستثمار . محكوم بهذين الحدين . الحد الجماعي والحد الفردي [٦٧].

كما يقر بالملكية العامة، من أجل تحقيق تنمية المجتمع وتقدمه (بالمشاركة مع الأفراد). وتحقيق التوازن بين أفراد المجتمع في الجيل الواحد، ثم تحقيق التوازن بين الأجيال. وكذلك تغطية احتياجات التضامن الإجتماعي في المجتمع [٦٨].

رابعا : استخلاف وسائل الإنتاج استخلاف عمراني:

الاستخلاف العمرانى يعني تمكين الله للبشر عامة (الاستخلاف العام للبشر)، ولبعضهم خاصة (استخلاف خاص) البيئة كهبة وعطاء فضل منه، فالمستخلِف هو الله عزَّ وجلَّ. كما ان إحلالهم محل بعض البعض هو إحلال نيابة ووكالة، فإن ما يمتلكونه عارية من أجل إدارة ما سخر للبشر من الأرض والمال ووسائل الانتاج، وهذا هو المستخلَف فيه، فهي حق للجميع وأن الظلم بين البشر هو نتاج عدم الاعتراف بحق الأخرين فيما وهبه الله للجميع مع انتشار الانانية.

لذا يتأسس منهج الاستخلاف في ملكية وسائل الإنتاج (وهو كل ما هو ضروري للإنتاج [٦٩] لتوفير احتياجات البشر المادية والروحية) على أنها مسخرة لكل البشر فهي وسيلة لسعادتهم في الدنيا والآخرة وأن الإنسان موكل عن الإنسانية وأفراد مجتمعه على التصرف فيها بمقتضى ضوابط الخالق عز وجل (معنوية ومادية) المالك لكل شيء والذي أسند ملكيتها وسخرها لبشر جميعا.

إن الاستخلاف كإطار مذهبي يحدد السلوك الاقتصادي، ويضبط العلاقات الاقتصادية، يعتبر قاعدة أساسية في التصور الاستخلافي العمراني، فهو يوجه جميع التصرفات التي يمارسها الفرد، قال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الحديد ٧، والإنفاق يعم جميع مراحل الدورة الاقتصادية من إنتاج واستهلاك وتوزيع وتداول. والاستخلاف يؤطر جميع هذه المراحل، والشعور بهذه الحقيقة يجعل السلوك الاقتصادي محكوما بمضامين العقيدة والعمل، الاخلاق والسلوك، فالاستخلاف يقرر لبني البشر أن الأموال التي في أيديهم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولهم إياها وخول لهم الاستماع بها، وجعلهم خلفاء بالتصرف فيها، فليست هي بأموالهم في الحقيقة، وما هم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب عن البشر، فيجب أن ينفقوا منها في حقوق الله والتي هي حقوق الإنسان.

كما إن الاستخلاف العمراني له أبعاد اقتصادية واجتماعية وإنسانية تحكم سلوك الفرد، وتجعله يسعى نحو تحقيق الرشد الاقتصادي في جميع تصرفاته. يجعل لسلوك الفرد أهدافا، فينزل تصرفاته الاقتصادية على مقاصد التشريع، فالمسلم كائن مكلف ومستخلف وأمين على ما وهب من نعم.

يستنتج مما سبق أن للاستخلاف درجات خمس.

١- **استخلاف ربوبية:** وهي الدائرة الأشمل فللكون صانعه ومسير أموره ومسخره لمن يشاء. فالله جلَّ وعلا هو الذي يستخلف من يشاء من عباده على ما شاء من ملكوته، كمالك مطلق لكل شئ في الكون، متفرد بالخلق، والرزق، والتدبير وهو توحيد الله بأفعاله.

هذا الاستخلاف للمسلم وغير المسلم " الله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر برحمته ويختص برحمته هدايته من يشاء"[٧٠]. هذا أولى دراجات الاستخلاف. **وهو ما يرتب حق الله في عبادة البشر له توحيد الله بأفعال العباد.**

٢- **استخلاف بشري:** وهو أن البشر جميعهم مستخلفون وأن الاستخلاف ليس قاصرا علي أحد، وهو ما ينتج عنه مصطلح الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها كل انسان وهي مجموعة الجوانب الإيجابية والأخلاقية طرف نفسه وطرف غيره من البشر. وهو ثاني درجات الاستخلاف. وهو مايرتب حقوق الإنسان على الإنسان كأخوة من نسل واحد.

٣- **استخلاف وراثة:** الله عزَّ وجلَّ مكَّن كل من الأفراد والجماعات والأمم من الحلول محل من كان قبلهم في ملكية الأرض والأموال ووسائل الإنتاج، حيث يخلف بعضهم بعضاً. وهو ما يستدعي وجوب الحفاظ على حقوق الأجيال القادمة. وهو ثالث درجات الاستخلاف. وهو مايرتب حقوق الأجيال على الأجيال كورثة لهم.

٤- **استخلاف تسخيري:** السعي والأخذ بالأسباب، يتطلب من الإنسان ان يتعرف على الأرض والسماوات التي سخرت له من قبل الله عجز وجل(البيئة الحاضنة له)، يكتشف ما فيها من مواد وعلوم وقوانين

ونواميس، اكتشاف ما سخر لخدمته ونفعه وتقدمه وقد يكون عن طريق أفراد أو جماعات أو دول. وهو رابع درجات الاستخلاف. وهو ما يرتب حق البيئة على الإنسان.

٥- **استخلاف عمارة:** تفويض البشر بعضهم البعض في تسخير الأرض والمال ووسائل الإنتاج في سعادتهم، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا تصح حياته بدون مجتمع فالاجتماع ضروري للإنسان ولا يُتخيل وجوده منفردا بل هو مهيأ خلقيا(فطريا) للعيش مع الآخر، وهو يحتاج الي غيره وذلك لجعل حياته ممكنة. والتعرف على شركائه ونظرائه، ممن هم على دينه، أو ممن يشاركونه في الإنسانية، لتحقيق منفعته ومنفعة غيرة. وهو خامس درجات الاستخلاف. وهو ما يرتب حق العمارة على الإنسان.

يتبين مما سبق أن للاستخلاف خمس درجات رتب عليها خمسة حقوق تبدأ بحقوق الله ثم حقوق الإنسان ثم حقوق الأجيال القادمة ثم حقوق البيئة ثم حقوق العمارة. هذه الحقوق الخمسة يترتب عليها في هذه الظاهرة محل البحث؛ أن وسائل الإنتاج حتى ولو كانت ملك خاص فهي في خدمة المجتمع الضيق (الأسرة -القرية-المدينة -الدولة) والواسع(العالم). وذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وبيئية. وهو ما بدأ الإنسان ينتبه له بعد تجارب مريرة كلفت البشر كثيرا من الشقاء.

المبحث الثانى
الاستخلاف في الواقع المعاصر.

سوف نتناول في هذا المبحث الآثار السلبية لظاهرة ذمّ الدنيا والعزوف عنها. والتطبيقات العملية لنماذج تنموية تتطورية تحبوا نحو نهج اللاستخلاف، إتخذتها البشرية بعد تجارب مريرة سببت شقاءاً لها وهو عكس ما كانت تصبوا إليه من حياة سعيدة.

المطلب الأول: الآثار السلبية لظاهرة ذمّ الدنيا والعزوف عنها (الامتناع عن القيام بالاستخلاف التسخيري)

إن إعمار الارض يعدّ من المهام الأساسية للإنسان الخليفة في الأرض. وفي الإسلام اتسع مفهوم العبادة لا ليقتصر على أداء شعائر تعبدية معينة، بل تجاوز ذلك إلى كلّ فعل مادي أو معنوي من شأنه أن ينهض بالإنسانية، ويبعثها على تحقيق الرقيّ والنهضة في كافة المجالات.

كان لانتشار ظاهرة ذمّ الدنيا عند المسلمين [٧١] (وكذلك في العصور الوسطي في اوروبا) والعزوف عنها وعدم الاشتغال بها وإهمالها من الضرورات المهّمة لسلامة إيمان العبد، وكان لهذه الظاهرة آثارها السلبية على فريضة إعمار الارض. وظنّ كثير أنّ غاية الخلق انحصرت في العبادة؛ لقوله تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات:٥٦) مع أنّ الآية لم يقصد منها الاقتصار على أداء الشعائر التعبدية فحسب، بل عمران الارض بما ينجز مهامّ الإنسان على الأرض. لكن، لما تخلّى المسلمون عن عملية الإعمار، وحلّ غيرهم (بعد انتصار العلمانية على الكنيسة في أوروبا) لينهض بهذه المهّمة فقدت الإنسانية شيئا عظيما، وأصبحت عملية الإعمار غاية في ذاتها، لا وسيلة وقربة وطاعة إلى الله تعالى ومعرفته، وشتان ما بين الغاية والوسيلة. إنّ آيات كثيرة من كتاب الله تعالى -تحدّد مهمّة الاعمار -إلا أن البعض قد فهمها على غير وجهها، أو لم يعطي أولوية في البيان الكافي لإعمار الأرض بوصفه مهمّة فردية وجماعية تصل إلى حدّ أن تكون فرض عين على كلّ مسلم.

ذكر الآلوس[٧٢] . أنّ معنى قوله سبحانه:(واستعمركم فِيهَا) هود٦١، أي: جعلكم عمّارها وسكّانها وأيضا أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن، وحفر أنهار، وغرس أشجار، وغير ذلك، فالسين للطلب. واستدل بالآية على أنّ عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب فلا تستقيم حياة الإنسان بدونها لتحقيق ضرورات الحياة الإنسانية.

كما أن المقصود بإعمار الارض هو تسخير ما فيها لما يخدم الإنسان ويحقّق رفاهيته وسعادته، ممّا يقتضي وصول الإنسان إلى ذروة الكمال المادي والمعنوي عن طريق تذليل ما في الارض واستثمار ما فيها، واستشعار عظمة خالقه، فمن المفترض أن يكون ذلك وفق منهج مستقيم، ورؤية واضحة. كما عبّر عن ذلك الأصفهاني [٧٣] في معنى قوله تعالى:" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا "(المائدة: ٤٨) فذكر أنّ الآية تشير إلى أمرين:

أحدهما: ما سخّر الله تعالى عليه كلّ إنسان من طريق يتحرّاه ممّا يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد، وذلك المشار إليه بقوله:" وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا". (الزخرف:٣٢) [٧٤].

والثاني: ما قيّض (هيأه – أباحه–سببه) له من الدّين وأمره به ليتحرّاه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع، فكأنّ الإعمار لا يتم إلا وفق شريعة ومنهاج". وهو ما يطلق عليه النظام الاقتصادي.

أن العمارة المادية وحدها لا تكفي ولا تفي بمهامّ خلافة الإنسان في الأرض، فالعمارة لا تنفك عن المنهج الذي تستند إليه عملية الإعمار، والإنتاج المادّي وحده لا يمثل إعماراً حقيقيا للأرض بسبب عدم توافر ضمانات بقاء هذا الإعمار على حاله، والسبب الرئيس في عدم البقاء. على سبيل المثال ما حدث للإتحاد السوفيتي وتبنيه النهج الاشتراكي، فأغفلت بناء الإنسان بناء صحيحا، فساد الظلم وانتفى العدل، وتحقّق الجور وعمّ الطغيان، وهو عكس ما كان يتمناه منظروا النهج الاشتراكي، وهو ما إدي إلى إنهيار الإتحاد السوفيتي. قال ابن خلدون [٧٥] " واعلم أنّ هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ".

الإسلام يوجّه الإنسان نحو العناية بإصلاح علاقاته مع خالقه، ومع نفسه، ومع الناس من حوله، فإصلاح هذه العلاقات تؤدّي إلى التعاون المثمر بين الإنسان والإنسان؛ لأنّ عملية الإعمار لا تقوم على جهود فردية، بل لا بدّ فيها من التعاون الإيجابي، ومن شأن هذا أن يجعل من إعمار الكون نتاجا مثمرا. وقد أكد ابن خلدون هذه الحقيقة في فاتحة مقدمته، فبيّن أنّ الاجتماع الإنساني هو عمران العالم.

إنّ المهامّ الأساسية للإنسان في إعمار الارض، والتي يسهم في عملية بناء صحيح وآمن له. يمكن أن تتلخص في الأمور الآتية:

– القيام بواجب الخلافة، ويعني:" أن يكون الإنسان سلطانا في الأرض بغية تطبيق المهمّة التي كلّفه بها ائتماراً بما أمر، وانتهاء عمّا نهى [٧٦].

– عبادة الله تعالى واعمار الارض، يقول الله تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات:٥٦). وهو ما أوجبه الله تعالى على الإنسان من سنن التشريع، وآيات التكليف، لأداء حقوق الله تعالى، وحقوق النفس، وحقوق الآخرين، وحقوق كلّ ما حولنا. وكأنّ إعمار الارض من مظاهر عبادة الله تعالى، فلا تتنافى العبادة مع إعمار الارض؛ لأنّه أحد مظاهرها. بل العبادة المقصودة بحكم النص القرآني أن الإنسان العابد لابد أن يكون عاملا منتجا، فالعمل الجاد هو السبيل لإسعاد الفرد والجماعة، فالعمل مظهر عبادة.

قال فخر الرازي [٧٧]: إنّ الرهبانية التامّة توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل. وأما ترك الرهبانية مع المواظبة على المعرفة والمحبة والطاعات فإنّه يفيد عمارة الدنيا والآخرة، فكانت هذه الحالة أكمل.

السنن الإلهية هي قوانين الله الفاعلة في حياة الإنسان وما يحيط به، فهي نوعان: سنن تسير وفق نظام محكم لا يتخلّف، ولا يملك الإنسان شيئا إزاء تغييرها، وليس له إلا أن يكيّف حياته ويضبط حركته معها، ويستفيد منها بكل ما لديه من وسع وجهد وطاقة، بل يستطيع أن يكيّف حياته في ضوء هذه السنن المنتظمة التي لا تتبدّل ولا تتغيّر، ويعرف منها النظام والانتظام. وأنّ البحث في أساليب الاستفادة منها وتسخيرها لما ينفع الإنسان مظهر إعمار حقيقي للارض. يعدّ اكتشاف الطبيعة فرضا على الإنسان، وتعدّ دراسة عناصرها ومعرفة خصائصها من الضروريات بالنسبة إلى الحياة الإنسانية، وكلها خاضعة لقوانين ثابتة منضبطة، صياغة الطبيعة ضمن روابط مضطردة وعلاقات ثابتة هو الذي يجعل الإنسان يتعرّف على موضع قدميه، وعلى الوسائل التي يجب أن يسلكها في سبيل تكييف بيئته وحياته والوصول إلى إشباع حاجته.

هذا السنن العامة تخضع له الكائنات الحية في وجودها المادى وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه مثل نموه وحركة أعضاءه ومرضه وهرمه ولوازم بقاءه حيا ونحو ذلك [٧٨]. المقصود بعموم سنة الله، كون حكمها والحصول عليها(علمها) يسري على الجميع بدون استثناء؛ لا تستحيي من أحد ولا تحابي أحدًا، بغض النظر عن كونه مؤمنًا أم كافرًا، أو أبيض أو أسود، أو عربيًا أو عجميًا، يعيش في رقعة إسلامية أو غير إسلامية، غير مقتصرة على هذا أو ذاك، الكل سواسية أمام حكمها والحصول عليها، وأكثرهما جدية ونشاطا ونظرا وبحثا وسعيا أكثرهما وقوفا عليها والإحاطة بجوانبها وجزئياتها، والاختلاف يكون في القصد من تعلمه وفي أوجه الانتفاع منها، لأن قصد المسلم وأوجه الانتفاع بما يعلم محكوم بالاوامر والنواهي الاولوهية[٧٩].

أمّا السنن الإلهية الأخرى المرتبطة بحياة الإنسان فهي السنن الاجتماعية التي يملك الإنسان إزاءها كلّ شيء إيجابا أو سلبا، وكثير منها يدور حول الإيمان قربا منه أو بعدا، تصديقا له أو تكذيبا، استجابة له أو تحدّيا. يقول سبحانه:" ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأنفال: ٥٣)، فالإنسان نفسه هو منطلق التغيير وفق هذه السنن والقوانين، كما قال سبحانه:" إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ " (الرعد:١١).

أي أن هذا يتعلق بخضوع البشر له أفرادا وجماعات وأمما، أي خضوع تصرفاتهم وسلوكياتهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كرفاهية وضيق في مستوى العيش، والسعادة والشقاء والعز والذل والرقي والتأخر والقوة الضعف ونحو ذلك من الامور الاجتماعية في الدنيا [٨٠].

فالإنسان يكتشف نفسه، ويعرف مكانته بقدر ما يكتشف من سنن طبيعية واجتماعية انتظمت هذا الوجود بأسره، وتلك السنن تهيّئ له مجالا واسعا في التعامل الآمن مع هذا الوجود ومعرفة أسراره وسننه من أجل إعمار آمن وراشد للكون.

إنّ استثمار ما سخّره الله تعالى يعدّ من فروض الإعمار، وهو تكليف يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة. إنّ كلّ هذه المسخّرات ينبغي أن تكون عونا للإنسان في أداء مهامّه في الأرض، وألا تكون عبئا له تبعات ثقيلة عليه. حيث يحرم من الحياة الآمنة، وكذلك الأجيال القادمة.

المطلب الثاني: التطبيقات العملية للاستخلاف في الواقع المعاصر.

من المتفق عليه في الأدبيات الاقتصادية أن منشآت الأعمال الخاصة ليست منشآت خيرية وأن هاجسها الأول تحقيق أعلى معدلات للربحية، ومن هنا تبلورت فكرة وجوب تذكير الشركات (المنشات) بمسئولياتها الاجتماعية والبيئية، حتى يكون تحقيق الربح عائداً عن أمور مقبولة أخلاقياً أو قانونياً. علاوة على ذلك، فإن الدور الرئيس الذي تلعبه الشركات، كونها المصدر الرئيس للثروة والتحديث وتوليد فرص العمل، يحتّم عليها القيام بواجباتها الاجتماعية وفقاً للمفاهيم الحديثة، كما أن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في عصر يتسم بالتغير السريع تحتّم عليها ذلك أيضاً.

أولا: سلبيات نماذج التنمية القائمة على نسق الحداثة

كان الاستغلال المفرط والتدمير البيئي المصاحب للتنمية هما نتاج للمجتمع الصناعي الحديث، وبخاصة منظومة قيمه ومعتقداته وبناءه السياسي، والذي وضع تحت النسق المسمى الحداثة. فبرغم أن للحداثة إنجازات عديدة إلا أنها لها جانبها المظلم أيضا متمثلا في الظلم الاجتماعي وإفساد البيئة[٨١] .

وقد عبر عن الحداثة "بأنها قد أنتجت وبشكل طبيعي ثقافة تجارية مهيمنة تعتقد بأن كل حالات إنعدام المساواة سواء الاجتماعية أو في الموارد يمكن حلها من خلال التنمية، والابتكار، والتمويل والنمو – النمو دائما"[٨٢].

وتتمثل خصائص هذه الحداثة فما يلي [٨٣]:

١- الأولوية تكون للرفاهية الاقتصادية/ التي ستقود إلى تحقيق الرفاهية في مجالات الحياة الأخرى.

٢- النزعة التقدمية/ أي أن التقنية ستجد حلولا لكل المشاكل وأن الحالة الإنسانية سوف تتحسن بالتدريج من خلال الوفرة.

٣- النزعة التصنيعية/ أي أن الإنتاج على نطاق واسع سيؤدي إلى تحقق الوفرة والتي بدورها ستؤدي إلى خلق نزعة استهلاكية.

٤- النزعة الاستهلاكية/ إي أن استهلاك السلع المادية هو مصدر السعادة البشرية.

٥- النزعة الفردية/ التي تشير إلى التنافس على المنفعة الفردية وإعطاء المصالح الفردية أولوية على المصالح العامة .

هذا النموذج الحداثي ركز عملية التقدم بشكل أعمى على تحويل الموارد الطبيعية -بوساطة التقنية-إلى سلع استهلاكية تتحول بشكل سريع جدا إلى نفايات. وبالفعل فإنه ينظر للاقتصاد المزدهر على أنه اقتصاد متوسع (متطور) ينتج سلع مادية كثيرة لتستهلك ومن ثم يتخلص منها. وأعتبر الإبداع الإنساني من خلال التقنية قادرا على حل كل المشاكل مما يمكن التقدم من الاستمرار بدون توقف.

وقد هيمن هذا التركيز على دور الاقتصاد والنمو الاقتصادي على صناعة القرار الاقتصادي والسياسي، حيث أصبح الاقتصاد أساس المعنى والعلاقة في المجتمع الحديث [٨٤]. فالنزعة الاقتصادية قوية جدا إلى حد النظر للاقتصاد كحقيقة ثابتة بدلا من أن يكون وسيلة لتحقيق حال أفضل. وضمن هذا النسق الحداثي تصبح النقود ومن يملكها هي السلعة الأسمى، وتطغى معايير الحياة المترفة المسرفة المدفوعة

بالنزعة الاستهلاكية الواسعة على كل الاعتبارات الأخرى، ويصبح السوق هو المحدد الأساسي لما يحدث في المجتمع، ويتعزز الاعتقاد بأن الوفرة (من خلال الإنتاج والاستهلاك الواسعين) ستحل كل المشاكل. ومن جانبها ساهمت وسائل الإعلام، وبخاصة المرئية، التي أصبحت الأداة الرئيسة للتنشئة الاجتماعية في المجتمع الصناعي الحديث في التأكيد على أولوية الثروة والنقود في تحديد مكانة الفرد في المجتمع (٨٥).

فمن المعلوم أن محرك الاقتصاد الوضعي تتنازعه فلسفتان. الفلسفة الفردية، والفلسفة الجماعية، ففي الفلسفة الفردية يكون باعث الاقتصاد هو المصلحة الخاصة، والأنانية، والحرية الاقتصادية هي الوعاء للاقتصاد، والدور الاقتصادي الكفؤ للدولة هو ألا يكون لها دور. بينما الفلسفة الجماعية تقوم على النقيض من ذلك.

نتيجة لهذه الأثار السلبية التي نشأت من خلال هذا النموذج في التقدم والتنمية والتطور الإنساني، تنبه العالم إلى أن النظام الاقتصادي المهيمن (الحرية الرأسمالية) هو اقتصاد هدم يستنفد الموارد غير المتجددة، ويستغل الموارد المتجددة بدرجة أكبر من قدرتها على البقاء، ويتسبب في تغيير كيمائية الأرض وتشويه النظم البيئية عليها متسببا في حدوث أضرار لا يمكن إصلاحها لكل من الأرض والماء والهواء (٨٦).

كشف الواقع التطبيقي هذا عن أن نماذج التنمية الاقتصادية قد صحبتها آثار توزيعية (اجتماعية) تدميرية، والتي اعتبرت المتغير الإنتاجي، وأهملت المتغير التوزيعي. لذا في سبعينات القرن الماضي، قدمت نماذج جديدة، وقد اعتبرت مع المتغير الإنتاجي المتغير التوزيعي. ويستهدف بهذه النماذج علاج الآثار التوزيعية السيئة، التي صاحبت أو ترتبت على النماذج الأولى.

من ثم بدأت تظهر مفاهيم التنمية المستدامة والمسئولية الاجتماعية والتنمية البشرية والحوكمة...الخ والتي سوف نتعرف على بعضها. تقدم علاجات لسلبيات التنمية وفق نسق الحداثة، بل السعي الي الوصول الى نسق جديد للتنمية تتلافي فيه كل سلبيات هذا النموذج.

ثانيا: التنمية المستدامة.

إن الفكر الإنسانى حول الاهتمام بالتنمية المستدامة جاء بعد مشكلات عاشها الإنسان رغم تقدمه في كل سبل الحياة إلا أنه وجد هذا التقدم على حساب الأجيال القادمة أي تقدما يسير على نهج الأرض المحروقة مع كل تقدم. هذا الاهتمام يدور حول مفهوم استخلاف الوراثة.

لقد عرفت التنمية المستدامة: على أنها التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها (٨٧). أي الحفاظ على حقوق الأجيال القادمة الوارثة للأجيال السابقة.

فالتنمية المستدامة والمتوازنة تركز على مبدأ الوقاية بدلا من العلاج. وهذا يعني أن الاستدامة ليست فقط مسألة بيئية، بل أنها تتعامل مع التغيرات والمشاكل في المجالات الزراعية والبيئية والاقتصادية والاجتماعية، مما دفع البعض باطلاق الثورة البيئية على حركة الاستدامة مقارنة لها بالثورتين الزراعية والصناعية اللتين كان لهما تأثيرا تاريخيا هائلا على الثقافة الإنسانية الكونية.

ثالثا: التنمية البشرية:

التنمية البشرية [٨٨] هي عملية تتضمن توسعة خيارات الناس. ويتم تحقيق توسعة خيارات الناس عن طريق توسعة القدرات البشرية، على كافة مستويات التنمية فإن القدرات الأساسية الثلاث للتنمية البشرية هي أن يحيا الناس حياة مديدة وصحية وأن يحظوا بالمعرفة وأن يتمتعوا بمستوى لائق من المعيشة.

وإذا لم يتم تحقيق هذه القدرات الثلاث، فإن العديد من الخيارات لن تكون ببساطة متاحة وستبقى العديد من الفرص متعذر الوصول إليها، لذا وجب تزويدهم بالأدوات المناسبة والفرص المؤاتية للوصول إلى تلك الخيارات. إلا أن مجال التنمية البشرية يذهب لأبعد من ذلك: فمجالات الخيار الرئيسة، تحظى بتقدير عال من قبل الناس، والتي تتراوح بين الفرص السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأن يكون المرء مبدعا ومنتجا وصولا إلى التمتع باحترام الذات والتمكين والتمتع بإحساس الانتماء لمجتمع ما.

ويعطي دليل التنمية البشرية [٨٩] في بلد ما صورة أكثر وضوحا لحالة مجتمع ورفاهيته من الصورة التي يعطيها الدخل والثروة، وأكثر من إنتاج السلع وتراكم رأس المال. فعملية التنمية يجب ألا تقل عن خلق بيئة مواتية للناس، فرديا وجماعيا، لتطوير إمكاناتهم الكاملة والحصول على فرصة معقولة ليعيشوا حياة منتجة وخلاقة في اتفاق مع احتياجاتهم ومصالحهم.

ومن الملاحظ في تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤[٩٠]، أنه جمع نموذج التنمية البشرية مع نموذج التنمية المستدامة، في مسمى التنمية البشرية المستدامة: وهي تنمية لا تولد نموا اقتصاديا فحسب، بل توزع فوائده توزيعا عادلا، تنمية تعيد توليد البيئة بدلا تدميرها. تنمية تمكن الناس بدلا من تهميشهم، أنها تعطي أولوية للفقراء، وتوسيع نطاق خياراتهم وسعادتهم، وتتيح الفرصة لمشاركتهم في القرارات التي تؤثر على حياتهم. أنها تنمية موالية للناس، وللطبيعة، ولفرص العمل. هى تنمية تعمل على توفير الإنصاف داخل الجيل الواحد وبين الأجيال المتعاقبة. فبقدر ما هي تسعي لتحسين حياة الأجيال الحاضرة فهي كذلك صمام أمان يحمى خيارات الاجيال التي لم تولد بعد.

هذا الفكر الإنساني أخذ بالإضافة إلى الاهتمام بحقوق الاجيال القادمة من الثورة الطبيعية الاهتمام بحياة كل البشر سواء في الجيل الحالي أو في الأجيال القادمة، من ضرورة تمكين كل انسان في العيش الكريم. من خلال توفير الخدمات الصحية الضرورية له، وكذلك التعليمة لإكسابه مهارات وقدرات تؤهله لمواجهة الحياة، بالاضافة الى إتاحة المجتمع والحكومات فرص عمل له (أداة إنتاج ليمارس العمل من خلالها لكي يتكسب منها). هذا الفكر يدور حول المسئولية الاجتماعية للمجتمع وللدولة اتجاة كل مواطن، بحيث لا تقتصر المسئولية فقط على تقديم مساعدات للفقراء. وهو ما يتفق مع مفهوم الاستخلاف العمراني علي المستوي العام.

اتباع هذا النهج التنموى كان له مردودا ايجابيا في بعض الدول التى تقدمت بشكل أسرع من دول متقدمة حيث جاء تقدمها خلال فترة زمنية طويلة لم تتبع هذا النهج. فقد جاء في تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٣[٩١] أن نهضة دول الجنوب هي نتيجة الاستثمارات وتحقيق تقدم مطرد في التنمية البشرية، حيث توسيع إمكانات الأفراد. فقد سجلت بلدان الجنوب تغيرا في الظروف المعيشية والتطلعات المستقبلية

لأعداد كبيرة من السكان لم يشهد التاريخ تغيرا بطبيعته ولا بحجمه. ففي بريطانيا في عصر الثورة الصناعية، استغرقت مضاعفة نصيب الفرد من الانتاج ١٥٠ عاما، وفي الولايات المتحدة الامريكية التي سارت لاحقا في ركب التطوير الصناعي ٥٠ عاما. وكان عدد السكان في البلدين عند بدء الثورة الصناعية أقل من عشرة ملايين. غير أن الوثبة الاقتصادية في الصين والهند، حيث أن عدد السكان في كل بلد يناهز مليار نسمة، تمكنت من مضاعفة نصيب الفرد من الإنتاج في أقل من ٢٠ عاما. وهذا تغير أتى بالفائدة على أعداد من السكان تفوق بمائة مرة، عدد الذين استفادوا من الثورة الصناعية.

رابعا: المسئولية الاجتماعية:

مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ركز العديد من الباحثين على ضرورة ابتعاد مؤسسات الأعمال الخاصة عن الاهتمام بالأرباح كهدف وحيد إذ تحاول تعظيمه في شتى الظروف والأحوال. وهو ما يتطلب تبنى المؤسسات على اختلاف أنواعها أدوارا اجتماعية تحاول من خلالها تعزيز مشروعية وجودها وتطوير أدائها وتحسين سمعتها وإيجاد الآليات المناسبة لدمج هذه الأدوار الاجتماعية مع الإشكالات الفعلية والواقعية التي يواجهها المجتمع بفئاته المختلفة.

فقد أثبتت النجاحات التي حققتها الاقتصاديات المتقدمة في عملية التنمية، أن مؤسسات الأعمال الخاصة لعب دورا محورياً في تقدمها، وقد أدركت مؤسسات الأعمال الخاصة أنها غير معزولة عن المجتمع، وتنبهت إلى ضرورة توسيع نشاطاتها لتشمل ما هو أكثر من النشاطات الإنتاجية، مثل هموم المجتمع والبيئة [٩٢]، وإلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الأضلاع الثلاثة التي عرّفها مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة وهي النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وحماية البيئة. أي أهمية الترابط بين تبني مفهوم المسئولية الاجتماعية وتحقيق التنمية[٩٣].

كما شهد تعريف المسئولية الاجتماعية للشركات تغيرات جوهرية على مر الزمن، ولا يزال يتطور مع تطور المجتمع وتوقعاته. ولا يوجد تعريف للمسئولية الاجتماعية للشركات يحظى بقبول عالمي، كما لا يوجد توافق في الآراء بشأن قائمة نهائية للقضايا التي يشملها. ويُسلَّم عادة بأن المسئولية الاجتماعية للشركات ليست عملاً خيرياً من جانبها وليست امتثالاً مطلقاً للقانون. والقاسم المشترك بين أكثرية التعاريف هي أن المسئولية الاجتماعية للشركات مفهوم تدرج بموجبه المؤسسات الجوانب الاجتماعية والبيئية في السياسات والأنشطة الخاصة بأعمالها التجارية، قصد تحسين أثرها في المجتمع[٩٤]. وفيما يلي بعض هذه المفاهيم:

تعريف[٩٥](Drucker) : المسئولية الاجتماعية هي التزام المنشأة تجاه المجتمع الذي تعمل فيه.

تعريف[٩٦] (Holmes): المسئولية الاجتماعية هي هي التزام على منشأة الأعمال تجاه المجتمع الذي تعمل فيه وذلك عن طريق المساهمة بمجموعة كبيرة من الأنشطة الاجتماعية مثل محاربة الفقر وتحسين الخدمات الصحية ومكافحة التلوث، وخلق فرص عمل وحل مشكلة الإسكان والمواصلات وغيرها.

تعريف البنك الدولي للمسئولية الاجتماعية [٩٧]: التزام أصحاب الانشطة التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم والمجتمع المحلي والمجتمع ككل لتحسين مستوى معيشة الناس بأسلوب يخدم التجارة ويخدم التنمية في آن واحد.

تعريف مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة للمسئولية الاجتماعية: الإلتزام المستمر من قبل مؤسسات الأعمال بالتصرف أخلاقيا والمساهمة فيتحقيق التنمية الاقتصادية والعمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة وعائلاتهم، إضافة إلى المجتمع المحلي والمجتمع ككل[٩٨].

تعريف المجلس الاقتصادي والاجتماعي الهولندى [٩٩]: يحدد هذا المجلس المسئولية الاجتماعية للشركات على أنها تتضمن عنصرين:

١. ما يكفي من التركيز من قبل الشركة على مساهمتها في رفاه المجتمع في المدى الطويل.

٢. وجود علاقة مع أصحاب المصالح بها والمجتمع بشكل عام.

وبشأن العنصر الاول، أوضح المجلس على أن مساهمة الشركة في رفاهية المجتمع لا تتكون من خلال خلق القيمة الاقتصادية فقط، ولكن الاهتمام بخلق القيمة في المجالات الثلاثة التالية:

أ- الربح: البعد الاقتصادي. هذا البعد يشير إلى خلق القيمة من خلال إنتاج السلع والخدمات، ومن خلال خلق فرص العمل ومصادر الدخل.

ب- الناس:البعد الاجتماعي. وهذا يشمل مجموعة متنوعة من الجوانب المتعلقة بتأثير عمليات الشركة على البشر داخل وخارج المنظمة، مثل علاقات العمل السليمة والصحة والسلامة.

ج- الطبيعة: البعد البيئي. هذا البعد يتعلق بآثار أعمال وأنشطة الشركة على البيئة الطبيعية.

أما بخصوص العنصر الثاني يؤكد على العلاقة مع أصحاب المصالح والمجتمع ككل -الموظفين والموردين والعملاء والمنافسين والمجتمع ككل-وفقا لنهج ما يسمى بأصحاب المصلحة، فالشركات غير مسئولة فقط على المساهمين، ولكن ينبغي عليها أن توازن أيضا بين مصالح أصحاب المصلحة التي يمكن أن تؤثر أو قد تتأثر من عملياتها.

طبقا لهذا فالمسئولية الاجتماعية لمؤسسات الأعمال الخاصة تستند إلى نظرية أصحاب المصالح؛ والتي تنص على أن الهدف الأساسي لرأس المال يتمثل في توليد وتعظيم القيمة لكل أصحاب المصالح؛ من حملة أسهم، وشركاء، وموردين، وموزعين، وعملاء وأيضا العاملين وأسرهم، والبيئة المحيطة والمجتمع المحلي والمجتمع ككل. وتعدالمسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص أداة رئيسية للوصول إلى هذا الهدف من خلال تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي لمجتمع الأعمال [١٠٠].

كما أن برامج المسئولية الاجتماعية نوعا من الاستثمار الاجتماعي [١٠١] الذي يهدف إلى بناء رأس المال الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى تحسين كفاءة الأداء الاقتصادي لمؤسسات الأعمال الخاصة. وقد وجدت بعض الدراسات[١٠٢] أن هناك علاقة إيجابية بين تحمل مؤسسات الأعمال الخاصة لمسئوليتها الاجتماعية وبين الأرباح المالية التي تحققها الشركات. هذه العلاقة الإيجابية تعود إلى تحسن العلاقة داخل الشركات بين الإدارة والعاملين بها من ناحية والإدارة وعملاء الشركة من ناحية أخرى، كما تتحسن سمعة مؤسسات الأعمال الخاصة وتصبح مؤهلة للاقتراض من القطاع المصرفي، وقادرة على جذب الاستثمارات، فضلا عن تحسن العلاقة بين مؤسسات الأعمال الخاصة والحكومة مما يعود عليها بالنفع [١٠٣].

إن المسئولية الاجتماعية توفر نقطة البداية التي تحتاجها مؤسسات الأعمال لبدء التحرك نحو الاستدامة والمسئولية الاجتماعية. والتزام المتواصل من قبل مؤسسات الأعمال الخاصة في التنمية المجتمعية يتجاوز حدود الأعمال الخيرية. فالمسئولية الاجتماعية ليست عمل طوعي فقط، ويجب ألا تفهم على أنها عطاءات، بل هي إحدى واجبات والتزامات مؤسسات الأعمال الخاصة تجاها المجتمع. ويجب ألا تقتصر المسئولية الاجتماعية أو تقزم على شكل صدقات أو تبرعات أو المساهمة في دعم فريق رياضي أو حفل فني أوتنظيم نشاطات اجتماعية، هذه هي الأشكال البدائية للمسئولية الاجتماعية، المفهوم أعم وأشمل وأعمق من ذلك.

فاللمسئولية الاجتماعية مستويين: مستوى إلزامي وآخر طوعي [١٠٤]. ويجب التفريق بين المسئولية ذات الطابع الإلزامي (دفع الضرائب، تسجيل العاملين في التأمينات، المسئولية تجاه البيئة....) والمسئولية ذات الطابع الطوعي (الأعمال الخيرية، المساهمة في البحث والتطوير، المسئولية تجاه العاملين).

المسئولية الاجتماعية لمؤسسات الأعمال الخاصة هي جزء من منظومة اقتصاد السوق الاجتماعي، وإذا كان رجال الأعمال يريدون اقتصاد سوق عليهم أن يلتزموا بمتطلباتها الاجتماعية. وأحد أشكال الممارسة الفعلية للمكون الاجتماعي في اقتصاد السوق الاجتماعي هي المسئولية الاجتماعية لمؤسسات الأعمال الخاصة [١٠٥].

وقد دُفع الغرب بالإعتراف بصورة الإنسان المزدوجة [١٠٦]: حيث يتمسك اقتصاد السوق الاجتماعي بفكرة مبدأ الفردية، الا أن حرية تصرف الفرد تنتهي حين تتأثر الحقوق الأساسية لآخر ومصالحة الحيوية. فالهدف الأساسي لاقتصاد السوق الاجتماعي للفرد ما يمكن من حرية وللدولة ما هو ضروري من حق التدخل. لذا مهمة اقتصاد السوق الاجتماعي هي التنسيق على أساس اقتصاد السوق بين مبدأ الحرية والتوازن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والربط بينهما. وهكذا يعد الإنسان كائنا فرديا وكائنا اجتماعيا في الوقت نفسه.

كما أوضح الكاتب الألماني أولريش شيفر في آخر فقرة من كتابه "انهيار الراسمالية" [١٠٧] :"إن مستقبل النظام الراسمالي يتوقف على مدى التغير الذي سيطرأ على الأخلاقية السائدة في المجتمع وعلى إدراك الجميع أن مبدأ المسئولية الاجتماعية لا يقل أهمية عن مبدأ السوق الحر .أما إذا تجاهل المجتمع هذه الحقيقة فإن اقتصاد السوق معرض للمصير نفسه الذي تعرضت لها الاشتراكية: الانهيار والاختفاء عن الوجود.

لذا **عرف البعض** [١٠٨] **المسئولية الاجتماعية** للشركات (التي يطلق عليها أيضاً أخلاقيات الأعمال التجارية، أو تحلي الشركات بروح المواطنة، أو قابلية الشركات للمساءلة أو الاستدامة) تعني بصورة عامة "تحقيق النجاح التجاري بأساليب تراعي القيم الأخلاقية واحترام الأفراد والمجتمعات المحلية وبيئتهم الطبيعية .

كل هذه التعريفات توضح ان البشرية من خلال تجاربها الحياتية والمريرة تسعى إلى إتباع نهج إنساني في التنمية متمثل في استخلاف الوراثة من خلال الاهتمام بالبيئة الطبيعية، واستخلاف العمران المتمثل في نيابة الإنسان الفرد أو الجماعة أو ولي الامر فيما يملك عن الإنسانية جميعا لا تنحصر في أسرته أو مجتمعة المحيط به.

يستنتج مما سبق أن الامتثال للقانون الحد الأدنى من المعايير التي يتعين على المؤسسات الالتزام بها اتجاه المسئولية الاجتماعية للشركات. وفي البلدان التي لا تُفرض فيها التزامات قانونية على المؤسسات، أو التي لا تكون فيها هذه الالتزامات واضحة بالتفصيل، لا بد من أن تبذل المؤسسات جهداً للوفاء بتطلعات المجتمع. ويشمل نطاق المسئولية الاجتماعية للشركات الآثار المباشرة للإجراءات التي تتخذها المؤسسات، فضلاً عن الآثار غير المباشرة التي يمكن أن تحدثها على المجتمع [١٠٩].

كما أن الإلتزام الإخلاقي تجاه المسئولية الاجتماعية للشركات يوفر دافعا أقوى للمساهمة في المسئولية الاجتماعية في الممارسة العملية من وجهة نظر استراتيجية إيجابية نحو المسئولية الاجتماعية للشركات. فارتباط الأداء الفعلي للشركات بوجهة النظر الأخلاقية نحو المسئولية الاجتماعية أكثر بكثير من وجهة نظر استراتيجية المسئولية الاجتماعية للشركات (دمج المسئولية الاجتماعية في رسالة ورؤية وفلسفة المنشاة وثقافتها. وكذلك ضمن قواعد ومبادئ الشركة، واعتبار المسئولية الاجتماعية من مسئوليات الإدارة التنفيذية، ضمن التخطيط الاستراتيجي للشركة، وايضا ضمن مسئوليات وإشراف المنشاة، وإدماجها ضمن برامج الاتصالات والتعليم والتدريب للشركة)[١١٠].

وهذا يشير الي أهمية الدوافع الأخلاقية التى قد يكون لها دورا هاما للعب في تفسير سلوك الشركات. بعبارة أخرى الدافع نحو المسئولية الاجتماعية يكون أكثر من جانب الدوافع الذاتية عن جانب الدوافع (التحفيزات) الخارجية.

إن الدوافع الذاتية هي الرغبة (إرادة) في طاعة قاعدة أخلاقية معينة لأنها مرغوب فيها لذاتها؛ هى غاية في حد ذاتها. في المقابل التحفيزات(الدوافع) الخارجية هي الرغبة في أداء عمل معين أو الالتزام بقاعدة أخلاقية لأنه فعال في تحقيق كسب المال في النهاية [١١١].

من المتفق عليه أن الشركات التجارية والاقتصادية والمالية الوطنية والدولية، على حد سواء، ليست بشركات خيرية وأن هاجسها الأول تحقيق أكبر عائد من الربح على أصحابها. ومن هنا تبلورت فكرة وجوب تذكير الشركات بمسئولياتها الاجتماعية والأخلاقية حتى لا يكون تحقيق الربح عائداً عن أمور غير مقبولة أخلاقياً أو قانونياً كتشغيل الأطفال والإخلال بالمساواة في الأجور وظروف وشروط العمل، والحرمان من الحقوق الأساسية للفرد. علاوة على ذلك، فإن الدور الرئيس الذي تلعبه الشركات، كونها المصدر الرئيس للثروة والتحديث وتوليد فرص العمل، يحتّم عليها القيام بواجباتها الاجتماعية وفقاً للمفاهيم الحديثة، كما أن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في عصر يتسم بالتغير السريع تحتّم عليها ذلك أيضاً.

إن قيام الشركات بدورها تجاه المسئولية الاجتماعية يضمن إلى حد ما دعم جميع أفراد المجتمع لأهدافها ورسالتها التنموية والاعتراف بوجودها، والمساهمة في إنجاح أهدافها وفق ما خطط له مسبقاً، علاوة على المساهمة في سدّ احتياجات المجتمع ومتطلباته الحياتية والمعيشية الضرورية، إضافةً إلى خلق فرص عمل جديدة من خلال إقامة مشاريع خيرية واجتماعية ذات طابع تنموي. تتزايد أهمية المسئولية الاجتماعية

لمؤسسات الأعمال في ظل اقتصاد السوق الاجتماعي. كون هذه المسئولية جزء من الترجمة الحرفية للشق الاجتماعي في اقتصاد السوق [١١٢].

من ثم فإن نجاح قيام الشركات بدورها في المسئولية الاجتماعية يعتمد أساساً على التزامها بثلاثة معايير هي:

- الاحترام والمسئولية، بمعنى احترام الشركة للبيئة الداخلية (العاملين)، والبيئة الخارجية (أفراد المجتمع).
- دعم المجتمع ومساندته.
- حماية البيئة، سواءً من حيث الالتزام بتوافق المنتج الذي تقدمه الشركة للمجتمع مع البيئة، أو من حيث المبادرة بتقديم ما يخدم البيئة ويحسن من الظروف البيئية في المجتمع ومعالجة المشاكل البيئية المختلفة.

الخلاصة

مفهوم المسئولية الاجتماعية قد نشأ وتطور في العالم الغربي الذي قضى قرونا طويلة في مناقشة نظرياته، فها هو يعود لتبني مبادئ يعتبرها حديثة إلا أنها متأصلة في نظرية الاستخلاف منذ ١٥ قرنا. فالإسلام هو دين الحياة وأساسها.

كما أن هذا المفهوم الذي لازال محل تطور في العلم الغربي إذ لم يتفق بعد على تعريف موحد لهذه المسئولية كما أن تكييفها القانوني لازال يتأرجح بين الإلزام القانوني والالتزام الأخلاقي. إن مفهوم المسئولية الاجتماعية ليس بجديد على الأمة الإسلامية وما دعوة الغرب إلى تبني هذا المفهوم ما هو إلا دعوة للعودة إلى مكارم الأخلاق والتعاليم الدينية وذلك باعتراف الغرب أنفسهم كما هو الحال بالنسبة لأفكار (Bowen وMax Weber) وغيرهما. فعلى سبيل المثال في مقال حديث لباحثين فرنسيين[١١٣] يوضحون فيه الأسس الدينية لمفهوم المسئولية الاجتماعية للمؤسسات، إذ يرجعون أصلها إلى الديانة البروتستانتية وأيضا الكاثوليكية معتمدين على أعمال الأمريكي (W.C Fredirick) الذي خلص إلى أن الدين هو البعد الأساسي لمفهوم المسئولية الاجتماعية.

الخاتمة والنتائج

تبين مما سبق أن الاستخلاف يتدخل في الملكية الخاصة ومنها ملكية وسائل الانتاج بالتنظيم في وسائل اكتسابها، كذلك ينظم استخدامها بمجموعة من القواعد والقيود وهي في إطارها العام تقوم على ضرورة أن يراعى في تشغيله توفير احتياجات المجتمع، وتحقيق الرفاهية والتقدم لأفراده. حيث يراعى فيه اتجاهات جماعية، بجانب قيامه على المصلحة الفردية، فعمليات استخدام وسائل الانتاج محكوم بالحدين الحد الجماعي والحد الفردي.

إن الاستخلاف في الملكية الخاصة ووسائل الإنتاج، يهدف الي تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع، وبين الأجيال، ومواجهة حاجات التضامن الاجتماعي في المجتمع. فالاستخلاف يرشد إلى أن الملكية الخاصة تتحمل مسئوليات تحقيق الكفاية لكل فرد في المجتمع، حتى في مرحلة اكتساب الملكية، حيث يلزم وضعها

في خدمة المجتمع. ويضمن ألا تكون أية وحدة من وحدات رأس المال ووسائل الإنتاج عاطلة، أي لا تعمل في دائرة النشاط الاقتصادي المشروع.

كما يقوم الاستخلاف بواسطة منهجه في تشغيل الملكية واستخدامها ومن ثم وسائل الإنتاج، على علاج وضبط الصراع الاجتماعي، بوسائل عدة كلها تُجمع في مبدأ تقرير حقوق للمجتمع على المال ووسائل الانتاج. وليس مجرد وجود ظاهرة من يملك، ومن لا يملك، فهذا ليس هو السبب الحقيقي لوجود الصراع الطبقي أو الصراع الاجتماعي بل الصراع الاجتماعي يرتبط ويتعلق ويدور حول كيفية التصرف واستخدام المال ووسائل الانتاج، حيث الاستخلاف يربي الفرد على الإيمان بأن المعطي الحقيقي هو الله. وينمي في الفرد الذي يمتلك المال ألا يتخذ ما أعطاه الله من المال وسيلة للطغيان، والبغي في الأرض، أو ان لا يكون وسيلة لإذلال الآخرين، بفرحه بماله في مقابل أن الله لم يعطهم، لذا ينشأ الصراع ويقوى في نفوس الفقراء، وهم يرون أصحاب المال يفرحون ويفتخرون بأموالهم. بالاضافة الاستخلاف يعلم الفرد أن عليه حقوقاً للآخرين.

فمن خلال العطاء، ومن خلال خلق الإحساس عند من لا يملك أن الله جعل له حقوقاً عند من يملك، أي أنه شريك فيه، فالاستخلاف يستهدف من هذا كله مواجهة وعلاج الصراع الاجتماعي، بوسائل معنوية، وسائل مادية. ليس منها إلغاء الملكية الخاصة، وإنما يكون من خلال ترشيد الاستخدام والتصرف في الملكية الخاصة ووسائل الانتاج.

الاستخلاف يعمل على غرس الإحساس بالمسئولية الجماعية (الاجتماعية) فيعطي الحق للدولة في التدخل في استخدام وسائل الإنتاج الخاصة، فهي تعبير عن المسئولية المشتركة بين صاحب المال من جانب، وبين ولي الأمر من جانب آخر. وهذا يغرس في نفس أصحاب المال ووسائل الإنتاج أن ما في أيديهم للأفراد المجتمع عليه حقوق. ويهيأهم لقبول أنواع من التدخل، من قبل الدولة(المجتمع). وقوة موجهة للسلوك، ومؤثرة على تصرفات الأفراد التي تتصل بملكياتهم وحقوقهم الخاصة.

كما إن الاستخلاف يغرس في نفس ولي الأمر(الدولة) كممثل ومسئول عن المجتمع، الإحساس بأنه مسئول أمام الله عن التوجيه الصحيح لوسائل الإنتاج الخاصة والعامة.

كذلك فإن الاستخلاف يتخذ أشكالا مختلفة للملكية فهي أساليب تتيح للمجتمع باتباعها أداء رسالتها في اعمار الكون وتسخيره. فالملكية الخاصة التي منحت لبعض دون بعض فاختلفت بذلك درجاتهم في الخلافة، هي ضرب من الاختبار لمواهب الافراد والمجتمعات ومدى قدرتها على حمل الأعباء، وقوة دافعة لها على إنجاز مهام الخلافة، والسباق في هذا المضمار.

وقد يتخذ الاستخلاف شكل الملكية العامة حيث بعض الأموال والنشاطات الاقتصادية التي لا يجوز أن تدخل الملكية الخاصة، بل تقتصر على الملكية العامة. وهي الأموال التي لها أهميتها في مجال الحياة الاقتصادية. مثل الاموال التي يمكن أن تدر دخولاً كبيرة لمستغليها.

إذا الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج أسلوبا لإنجاز البشر أهداف الخلافة ورسالتها، فلا تنقطع صلة الجماعة البشرية ولا تزول مسئوليتها عن المال لمجرد تملك الفرد له، بل يجب على الجماعة أن تحمي

المال من سفه المالك إذا لم يكن رشيدا لأن السفيه لا يستطيع أن يقوم بدور صالح في الخلافة. فالملكية الخاصة لا ينظر إليها بوصفها مقياسا للاحترام والتقدير في المجتمع، ولا أن يقرنها بنوع من القيمة الاجتماعية في العلاقات المتبادلة، وبهذا أعاد الاستخلاف الملكية إلى وضعها الطبيعي وحقلها الأصيل، بوصفها لونا من ألوان الخلافة وليست حقا ذاتيا.

وبهذا تحولت الملكية إلى أداة لا غاية، باعتبارها وسيلة لتحقيق الهدف من الخلافة العامة وأشباع حاجات الإنسانية المتنوعة، وليست غاية بذاتها تطلب بوصفها تجميعا وتكديسا شرها لا يرتوي ولا يشبع.

مما سبق يرسي الاستخلاف قواعد أساسية لنظرته إلى الملكية والحيازة لوسائل الإنتاج والتصرف فيها

وقد تم التوصل إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

أ- مفهوم متميز للملكية والحيازة : يرفع الاستخلاف يد الإنسان ويجرده من التملك الحقيقي عقيديا، وأن تملكه لوسائل الإنتاج هبه من الله فهو الذي أسند الملكية إلى سواه، سواء البشر جميعا، كما اسندها لجماعة أو مجتمع ما، كما اسندها لأفراد، ويعتبر كل فرد مفوضاً (وهو أعلي درجات التوكيل) وراعياً ومسئولاً عن البشر جميعاً (المالكون الحقيقيون لثروة الطبيعة والثروة المنتجة والثروة المستهلكة)، وأن وسائل الإنتاج التي في حوزته في حكم الوديعة والعارية.

ب- مفهوم التصرف المقيد: يوجب بمقتضى الاستخلاف في ملكية وسائل الإنتاج إخضاع تصرفات الإنسان بالكسب والإنفاق والإنتاج والعمل لضوابط معنوية ومادية.

ح- مفهوم متميز للتوافق بين المصلحة الذاتية والمصلحة المجتمعية : من خلال تهذيب حب التملك لتحسين استثمار الموارد والخيرات المشتركة بين البشر وتحقيق حاجاتهم. حيث يقرر منهج الاستخلاف الميل الغريزي للإنسان للتملك وجمع المال والثروات، في نفس الوقت يحقق التوازن العادل بين افراد المجتمع دون إهدار طاقتهم وإمكاناتهم في صراعات حول تلبية حاجاتهم.

التوصيات:

- بناء مؤسسات تحمل عبء إلزام الإنسان بواجباته نحو نفسه ومجتمعه والبشر جميعا، اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا.
- وضع اجراءات يهتدي بها أفراد المجتمع في الوفاء نحو مجتمعهم بواجب الخلافة لتحقيق السعادة والرفاهية لهم، اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا.

الهوامش والمرجع

١- انظر كارل ماركس، راس المال، ترجمة دكتور راشد البراوي، الجزء الاول، الناشر دار النهضة المصرية، القاهرة١٩٤٧م، ص١٣٥-١٤٣.

٢- حيث هناك نوعا من العمل المتراكم يطلق عليه، رأس المال، وأن رأس المال هذا يرفع القدرة الإنتاجية للعمل الحي، لما يحتويه من مصادر المعونة، ويطالب بدوره بتعويض معين يصطلح عليه بالربح أو الكسب. إن هذا كما نعرف جميعا، يحدث في الواقع بطريقة من الطرق تجعل أرباح العمل الميت (المتراكم) تتضخم أكثر فأكثر، ورأس المال يتنامى، في حين أن أجور العمل الحي تتناقص على الدوام وجماهير العمال التي تعيش على الأجور وحدها تتزايد عددا وادقاعا. كيف نحل هذا التناقض.

٣- علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ٦ / ٢٩٤

٤- دكتورة فريدة زمرد صفحة الويب بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣. www.almithaq.ma/contenu.aspx?C=2605

٥-أبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، صـ٣٠٩-٣١٠.

٦- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م،٤/١٨١-١٨٤.

- فيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، صـ١٠٤٢-١٠٤٤.

٧- حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم برقم ١٧٦١، صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار القلم، بيروت ١٩٨٧م.

٨- أنظر: عبد الله بن عمر البيضاوي القاضي (ت٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٥١/١.

9http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A&word=%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%B1. الويب بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣

10http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&word=%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D9%84&cat_group=1&lang_name=%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A&type_word=0&dspl=0. الويب بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣

١١-أنظر: ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، ٥٢٩/٣.

١٢-أنظر: أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ، صـ٣٩.

- بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، طباعة دار الثقافة، قطر، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، صـ٥٣.

١٣- اختاره بعض المفسرين منهم ابن كثير رحمه الله. أنظر: تفسير ابن كثير للإمام إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) - دار الجيل - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ٦٧/١.

١٤-عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، الناشر جامعة لندن، مجلة الدراسات القرآنية،٢٠٠٧.

١٥- القول ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ونسبه إلى عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وتبعه بعض المفسرين في نسبته إليهما، أنظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٣٦٣/١، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م. كما اختياره الإمام البغوي حيث قال في تفسيره بعد ذكره للأقوال في المسألة: والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه. تفسير البغوي ٣١/١.

١٦ أنظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام بن تيمية (ت٧٢٨هـ) جمع عبد الرحمن بن قاسم، طُبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بالمملكة العربية السعودية ٤٥/٣٥.

١٧-عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، الناشر جامعة لندن، مجلة الدراسات القرآنية،٢٠٠٧.

١٨د. عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية الناشر جامعة لندن، مجلة الدراسات القرآنية،٢٠٠٧.

١٩-أنظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، فيما يتعلق بالمشيئة الكونية القدرية، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ،٢/٢٠٤.

٢٠- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق،٣٩٩/١-٤٠٠

٢١أنظر: تفسير قوله تعالى " جاعل " لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تفسير فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ٦٢/١.

٢٢أنظر: تفسير أبي القاسم محمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ،٦١/١.

٢٣انظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م،٢٩٤/١٩.

٢٤- (البقرة / ٢٨٤، النساء/ ١٣١/١٧٠، يونس/ ٥٥، النور/ ٦٤، لقمان/ ٢٦، الحديد/ ١، الحشر /١، الصف / ١، الجمعة / ١، التغابن/ ١).

٢٥العلامة ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)، المحقق عبدالله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،٦٥/٢

٢٦د شعبان فهمي عبد العزيز، مقدمة في الاقتصاد الاسلامي، كلية التجارة بنين جامعة الازهر،٢٠٠٦، ص٢٣١-٢٣٣.

٢٧- وهناك من يقول أن المستَخلَف هو آدم عليه السلام دون ذريته.انظر: التفسير الكبير، الإمام فخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ تفسير قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة)البقرة.

– وهناك قول اخر أن المستَخلَف هو آدم والأنبياء من بعده. ذكره بعض المفسرين. على اعتبار أن الخلافة تشريف فلا تكون إلا لمن يستحقه وهم الأنبياء.انظر: جاء في تفسير النسفي (أو خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي) ١٤/١ لعبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م.وأنظر: تفسير روح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي (ت١٢٠٧هـ) ٣٥١/١ دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ.والمصباح المنير للفيومي ١٧٨/١.

٢٨ أنظر: تفسير الطبري ٢٣٦/١ وتفسير الرازي ١٥٢/١، وتفسير الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ) ١٢٤/١ دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ. وتفسير تفسير ابن كثير للإمام إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ٦٧/١.

٢٩أنظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ٦٧/١.

٣٠- أنظر: تفسير فتح القدير ٦٢/١ وتفسير نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) ٨٦/١ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣١- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ،٢٢٦/٧

٣٢- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ،٣٨٥/٣.

٣٣- كلمة الملكية في القرآن تسند إلى الله تعالى إذ الملكية من صفات الربوبية التي تتعلق بالأمور الكونية وبأفعاله هو سبحانه.

٣٤- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تفسير القران، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م،١٢٣٣/١.

٣٥- أنظر: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار المعرفة – بيروت، صـ٧١٩.

- وايضا تفسير الطبري ٦٧١/١١

٣٦-عبد المجيد عمر النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة، الطبعة،١٩٩٣م، ص٦١.

٣٧عبد الحميد أحمد أبو سليمان؛ أزمة العقل المسلم، الناشرالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجنيا، الولايات المتحدة، ١٩٩١م، ص١٣٠.

٣٨- هذا القول مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنظر: تفسير الطبري ٢٣٦/١، مرجع سابق.

- وقال به بعض المفسرين، أنظر: تفسير فتح القدير ٦٢/١، مرجع سابق.

- وهو قول ابن تيمية. أنظر: الفتاوى الكبرى ٤٥/٣٥.

٣٩- أنظر: تفسير الطبري ٢٣٦/١، وتفسير روح المعاني ٣٥١/١.

٤٠- أنظر: تفسير النسفي ٤٤/١ وأشار إليه الزمخشري في تفسيره الكشاف ١٢٤/١.

٤١- هذا القول ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ونسبه إلى عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وتبعه بعض المفسرين في نسبته إليهما، أنظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٣٦٣/١، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. كما اختيارهالإمام البغوي حيث قال في تفسيره بعد ذكره للأقوال في المسألة: والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه. تفسير البغوي ٣١/١.

٤٢- أنظر: تفسير البيضاوي ٥١/١.

٤٣- أنظر: محمد بن صالح بن العثيمين، تفسير القران الكريم سورة ص، دار الثريا للنشر، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، ص١٢٠-١٢٥.

٤٤- عبد الله بن إبراهيم بنُ عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعوديةالناشر جامعة لندن، مجلة الدراسات القرآنية،٢٠٠٧.

٤٥- أنظر تفسير الطبري ٢٣٧/١ وتفسير ابن عثيمين ١١٤/١.

46- http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_16812.shtml

٤٦- وهذا القول مروي عن الحسن البصري رحمه الله، أنظر: تفسير الطبري ٢٣٧/١. واختاره بعض المفسرين منهم ابن كثير رحمه الله. أنظر: تفسير ابن كثير ٦٧/١.

٤٧أنظر تفسير ابن كثير ٦٧/١.

٤٨- تفسير القرطبي، الجامع لاحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت- لبنان، 1405هـ -١٩٨٥ م،٢٣٨/١٧

٤٩- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ،٨/١١

٥٠ – أنظر الفتاوي الكبرى ٤٥/٣٥.

٥١- أنظر: لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه لعبد الرحمن حسن الميداني صـ٣٤ -مؤسسة الريان – بيروت – الطبعة الأول ى١٤١٦هـ.

٥٢- ابن خلدون، مرجع سابق،٣٦٦/١.

٥٣- الراغب الأصفهاني (ابي القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، بلا تاريخ. صـ١٥٦.

٥٤- أنظر أحمد حسن فرحات، الخلافة في الأرض، دار عمار للنشر والتوزيع2003 ، صـ١٤.

٥٥- عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعوديةالناشر جامعة لندن، مجلة الدراسات القرآنية،٢٠٠٧.

٥٦- أنظر في آيات المعية ومعناها، شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ، ١/ ٤٠٠ وما بعدها.

٥٧أنظر: تفسير الطبري ١٠/٥٧٥، وتفسير فتح القدير ٤/٤٢٩.

٥٨ – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب ما يقول إذا ركب في سفر الحج وغيره برقم ٢٣٩٢، ورواه الترمذي واللفظ له في كتاب الدعوات برقم ٣٣٦٩ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، وأبو داود في كتاب الجهاد برقم ٢٢٣٢.

٥٩- أنظرابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م ٢/١٢٦.

٦٠- وهذا القول مروي عن الحسن البصري رحمه الله، أنظر: تفسير الطبري ١/٢٣٧. واختاره بعض المفسرين منهم ابن كثير رحمه الله. أنظر: تفسير ابن كثير ١/٦٧.

٦١- ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)، المحقق عبدالله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،١/١٣٨

٦٢- العلامة ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)، المحقق عبدالله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،٢/١٥٨

٦٣- العلامة ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)، المحقق عبدالله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،٢/٦٥

٦٤- الكتاب: تلبيس إبليس المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٧٩ هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- بيروتالطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ١٦٠

٦٥-الكتاب: تلبيس إبليس المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٧٩ هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- بيروتالطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ١٦٠.

٦٦ – رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى القاهرة،2013، ص ٢١٠-٢٣١.

٦٧ – رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى القاهرة،2013، ص ٢١٠-٢٣١.

٦٨ – رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى القاهرة،2013، ص ٢١٠-٢٣١.

٦٩محمد باقر الصدر، اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت الطبعة العشرون،١٩٨٧، ٥٦٥.

٧٠-العلامة ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)،المحقق عبدالله محمد الدرويش،توزيع دار يعرب،دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،٢/٦٦

٧١- أبو حامد الغزالي في ذمّ الدنيا، إحياء علوم الدين بيروت، دار المعرفة، بلا تاريخ، ج ٣، ص٢٠١-٢٣٠. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر،١٩٨٢، ج ١، ٥٧٤، ٨٢٣. ابن النديم محمد بن إسحق، أبو الفرج، الفهرست بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨، ص ١٩٢، ٢٦٢.

٧٢- شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج١٢، ص ٨٨.

٧٣-الراغب الأصفهاني (ابي القاسم الحسين بن محمد) ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، بلا تاريخ. ص٢٨٥.

٧٤-التسخير: سياقه إلى الغرض المختص قهرا، قال تعالى: {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض} [الجاثية/١٣]، {وسخر لكم الشمس والقمر دائبين} [إبراهيم/٣٣]، {وسخر لكم الليل والنهار} [إبراهيم/٣٣]، {وسخر لكم الفلك} [إبراهيم/٣٢]، كقوله: {وسخرناها لكم لعلكم تشكرون} [الحج/٣٦]، {سبحان الذي سخر لنا هذا} [الزخرف/١٣]، فالمسخر هو المقيض للفعل، والمسخري: هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته، قال: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} [الزخرف/٣٢]، تعريف معني سخر للاصفهاني مفردات المرجع السابق.

٧٥- ولى الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(٧٣٢-٨٠٨هـ)، المحقق عبدالله محمد الدرويش، توزيع دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ١/٤٧٩

٧٦-النجار، عبد المجيد عمر، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة، الطبعة،١٩٩٣، ص٦١.

[77]http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%8A%20%D9%81%D9%8A%20%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85/%D9%82%D8%A7%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%88%D8%B3%D9%8A:/i543&d841255&c&p1

٧٨- عبد الكريم زيدان، السنن الالوهية في الامم والجماعات والافراد في الشريعة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ص ٧،١٥.

٧٩- عبد الكريم زيدان، السنن الالوهية في الامم والجماعات والافراد في الشريعة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ص ١١-١٢.

٨٠- عبد الكريم زيدان، السنن الالوهية في الامم والجماعات والافراد في الشريعة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ص ١٢

81- Coates, J. Ecology and social work: Toward a New Paradigm. Halifax: Fernwood Press, 2003a.p27

82 -Hawken, P. The ecology of commerce. New York: Harper Business, 1993.p5.

83 -Spretnak, C. The Resurgence of the Real. Ontario: Addison-Wesley: Don Mills, 1997.p40-41.

84- Rogers, R. Nature and the Crisis of Modernity. Montreal: Black Rose. 1994. p 86.

85- Durning, A. Asking How Much is Enough. In Lester Brown et al. State of the world 1991. New York: Norton, 1991.153-169

86- Coates, J. Exploring the Roots of the Environmental Crisis: Opportunity for Social Transformation. Critical Social Work, 3(1). 2003b, 44-66.

- التدهور البيئي في الارض حدث معظمه خلال القرن العشرين.

87- WCED (World Commission on Environment and Development), Our Common Future, Oxford: Oxford University Press, 1987.8,43.

88 - HUMAN DEVELOPMENT REPORT 1990, United Nations Development Programme, New York, 1990, P1.

89 - HUMAN DEVELOPMENT REPORT 1990, United Nations Development Programme, New York, 1990, P1.

90 -HUMAN DEVELOPMENT REPORT 1994, United Nations Development Programme, New York,1994,P3-5.

٩١- تقرير التنمية البشرية،٢٠١٣، نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متنوع، صادر عن برنامج الامم المتحدة الانمائي، نيورك، ص١٣. http://hdr.undp.org.

92 -Alessia D'Amato, Sybil Henderson, Sue Florence. Corporate Social Responsibility and Sustainable Business,A Guide to Leadership,Tasks and Functions. Center for Creative Leadership, Greensboro, North Carolina, Published by CCL Press, US.2009.P ١١ . www.ccl.org

٩٣- وترتبط المسؤولية الاجتماعية للشركات ارتباطا وثيقا بمفهوم "التنمية المستدامة". ففي عام ١٩٨٧، خلص تقرير برونتلاند إلى أن النموذج الحالي للتنمية الاقتصادية لا يمكن أن يدوم على المدى البعيد، حيث إنه يتسبب في نفاد الموارد الطبيعية وإيذاء اجملتمع. وقد عرّف التقرير "التنمية المستدامة" بأنها "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر. دون الإضرار بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاهتا " ويعتمد مفهوم التنمية المستدامة هذا على ثلاثة عناصر رئيسية هي: حماية البيئة، والنمو الاقتصادي، والعدالة الاجتماعية. انظر الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٥

٩٤- الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص٢٧-٢٩

٩٥- حسين الاسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، جسر التنمية، العدد ٩٠، ٢٠١٠ ص٤.

٩٦- حسين الاسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، جسر التنمية، العدد ٩٠، ٢٠١٠ ص٤.

97 -World Bank, Opportunities and options for governments to promote corporate social responsibility in Europe and Central Asia: Evidence from Bulgaria, Croatia and Romania. Working Paper, March 2005..p1

98-World Business Council for Sustainable Development (WBCSD).. Meeting changing expectations: Corporate social responsibility,1999,p 3

99 -Ven van de, B. and Graaand, J.J.,Strategic and moral motivation for corporate social responsibility, MPRA Paper No. 20278 ,2006,pp 2-4,Online at http://mpra.ub.uni-muenchen.de/20278/

وهو هيئة استشارية للحكومة الهولندية

100- Tracey Swift & Simon Zadek ,Corporate Responsibility and the Competitive Advantage of Nations,The Copenhagen Centre and institute of social and ethical accountability ,July 2002,pp9-10

101 -Alessia D'Amato, Sybil Henderson, Sue Florence. Corporate Social Responsibility and Sustainable Business, A Guide to Leadership,Tasks and Functions. Center for Creative Leadership, Greensboro, North Carolina, Published by CCL Press, US.2009.P ٢٢،٤٩ . www.ccl.org

١٠٢- الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٨٢.

103 -Posnikoff,j, Disinvestment from south aafrica, Contemporary economic policy, Vol. 15, Issue 1.1997, p76- 86.

- الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٨٢.

١٠٤- رملان خضور، المسئولية الاجتماعية لقطاع الاعمال، ندوة الثلاثاء الاقتصادية ٢٤ حول التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سورية، ٢٠١١/٤/٢٦. جمعية العلوم الاقتصادية السورية. دمشق. ص ٦

١٠٥- رسلان خضور، المسئولية الاجتماعية لقطاع الاعمال، ندوة الثلاثاء الاقتصادية ٢٤ حول التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سورية، ٢٠١١/٤/٢٦. جمعية العلوم الاقتصادية السورية. دمشق. ص 3

١٠٦ - الاقتصاد اليوم كيف يعمل؟ نقله الى العربية دهاني صالح، الناشر العبيكان للنشر بالتعاون مع معهد البيبلوغرافي المانيا، الرياض السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص ٥٢-٥٣.

١٠٧- اولريش شيفر، انهيار الراسمالية، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، يناير ٢٠١٠.

١٠٨- الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٧٩.

كما انه ذكرت إحدى الدراسات فيما يتعلق بالعوامل المحركة للمسؤولية الاجتماعية للشركات في بعض الدول منها البرازيل وجنوب أفريقيا والفلبين، على سبيل المثال، لم تظهر المسؤولية الاجتماعية للشركات في التسعينات وإنما في الفترة بين السبعينات والثمانينات، كأسلوب في سياق تسوده التهديدات الثورية أو النظم القمعية. كما كانت التأثيرات الدينية التقدمية هامة. وأدت الأنواع المختلفة للغاية من أشكال مؤسسات الأعمال في البلدان النامية -وهي عادة مؤسسات تملكها أسر، ولها جذور في مناطق محددة -إلى ظهور ممارسات أخلاقية أو أبوية الطابع تتصل بالمسؤولية الاجتماعية للشركات. وتقاليد شرق آسيا التي تعلي من شأن مسؤولية الشركات عن توفير العمالة والرعاية هي جوانب أخرى للمسؤولية الاجتماعية للشركات التي غالباً ما يتم إغفالها.

انظر: الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٥٧.

١٠٩- الأمم المتحدة، مؤتمرالأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات على المجتمع الاتجاهات والقضايا الراهنة، منشورات الأمم المتحدة ٢٠٠٤، ص ٥.

١١٠- خالد عطاالله الطراونة، أثر أخلاقيات الاعمال والمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية (دراسة ميدانية في الشركات الصناعية المدرجة في سوق عمان المالي)، المؤتمر الدولي الثاني لكلية ادارة الأعمال بجامعة مؤتة- الأردن " الفرص الإدارية والاقتصادية في بيئة الأعمال التنظيمية "للفترة من ٢٣-٢٥ نيسان ٢٠١٣. ص ١٣-١٤.

١١١- تبرر الشركات الامريكية المسئولية الاجتماعية من ناحية المكسب المالي العائد من ورائه بشكل اكبرفي حين تعتمد الشركات الاوروبية على نظرية المواطنة والالتزام الاخلاقي بالاضافة الى المكسب المالي لتبرير المسئولية الاجتماعية. فالشركات التي مقرها الولايات المتحدة تفضل بشكل أكبر المبررات الاقتصادية للمشاركة في المسؤولية الاجتماعية للشركات وأن شركات الاتحاد الأوروبي تفضل الحجج الاستدامة من أجل تعزيز أعمالهم في إشراك أصحاب المصلحة.

انظر

- Alessia D'Amato, Sybil Henderson, Sue Florence. Corporate Social Responsibility and Sustainable Business, A Guide to Leadership, Tasks and Functions. Center for Creative Leadership, Greensboro, North Carolina, P5 . www.ccl.org

١١٢- رسلان خضور، المسئولية الاجتماعية لقطاع الاعمال، ندوة الثلاثاء الاقتصادية ٢٤ حول التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سورية، ٢٠١١/٤/٢٦. جمعية العلوم الاقتصادية السورية. دمشق. ص 3

113 -A. ACUIER ; J.P GOND et J.I LIRHE (2005): «Des fondements religieux de la responsabilité sociale de l'entreprise à la responsabilité sociale de l'entreprise comme religion». Cahier de recherche n°2005.166